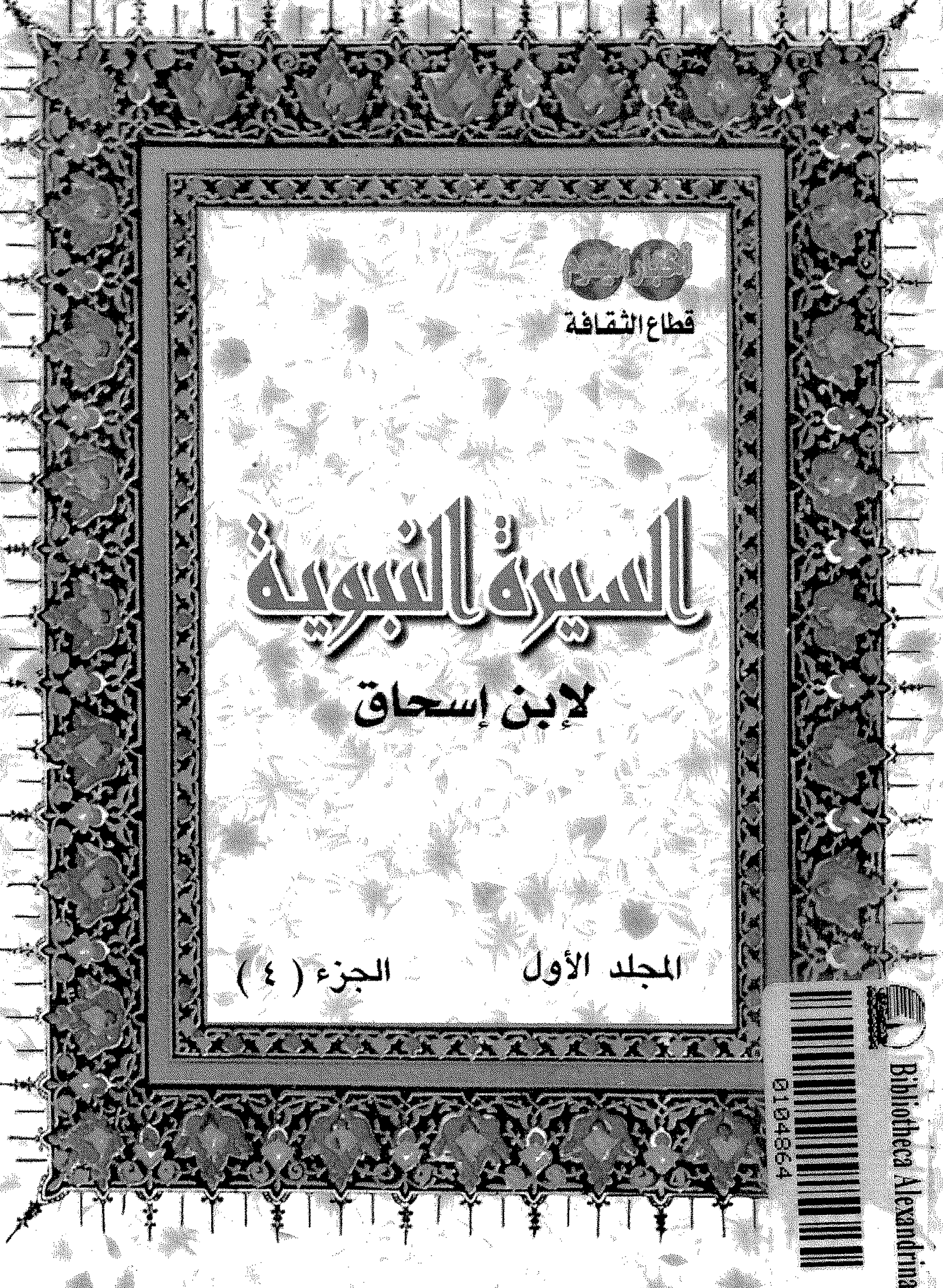

قطاع الثقافة
السيرة النبوية
لابن إسحاق
المجلد الأول
الجزء (٤)

أُوصيكَ يا عبدَ مَناف بَعْدِي ... بمُوحَّد بَعـــد أبيه فَرْدِ

فَارقَه وهـــو ضَجِيعُ المَهْدِ ... فكُنْتُ كَالأُم لَه فى الوَجْدِ

تُدْنِيهِ مَن أَحْشَائِها وَالكَبْدِ ... حَتى إذا خِفْتُ مِدَادَ الوَعْدِ

أوصيتُ أَرْجى أَهْلنا للوفْدِ ... بِابنِ الَّذى غَيَّبْتُهُ فى اللَّحْدِ

بالكُره منى ثُم لاَ بَالعمد ... فقال لى والقول ذُو مَرَدِ

مَا ابن أَخِي مَا عِشْت فِي مَعد ... إلا كَأدنى وَلَدِى فى الوُدِّ

عِنْدِى أَرى ذَلك بَاب الرُّشْدِ ... بَل أحمد قَد يُرْتَجى لِلرُّشْدِ

وَكَل أَمْر فى الأُمُورِ ودٌّ ... قَدْ عَلمت عَلام أهل العَهْدِ

إِن ابنى (١) سَيد أَهْلِ نَجْدِ ... يَعْلُو عَلى ذِى البدنِ الأَشَدِ

وقال عبد المطلب أيضًا :

أَوْصَيتُ مَنْ كَنَيْتُه بِطَالِبْ ... عَبْدَ مَنَاف وَهو ذُو تَجارِبْ

بِابن الذى قَد غَابَ غَيرَ آئِبْ ... بابن أَخ والنِّسْوَةِ الحَبَائِبْ

بِابن الحبيبِ أَقْرَبُ الأَقَارِبْ ... فَقال لـــى كَشبه المعاتبْ

لا تُوصِنى إِنْ كُنْتَ بالمَعَاتِبْ ... بِثَابِتِ الحَـــق عَلىَّ وَاجِبْ

مُحمد ذُو العُرْف والذَوائِبْ ... قَلْبى إِلَيـــه مُقْبِل وَائِبْ

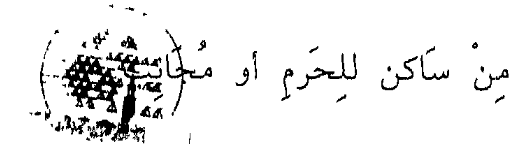
فَلَسْـــتُ بالآيِس غَيْر الرَّاغب ... بَأن يَحقَّ اللهُ قَوْلَ الرَّاهِبْ

فِيه وَأنْ يَفْضُلَ آلَ غَالِبْ ... إِنى سَمعْتُ أَعْجَبَ العَجَائِبْ

مِنْ كُل حَبْر عَالِمٍ وَكَاتِبِ ... هَذا الَّذى يُقْتَادُ كَالجنائِبْ

مِنْ حل بالأَبْطح وَالأخَاشِبْ ... أيضاً وَمَنْ ثَاب إلى المثاوِبْ

مِنْ سَاكن للحَرَمِ أو مُجَاوِبْ



(١) يقصد رسول الله ﷺ لأن الابن يطلق على الابن وابنه ٠

* **إلى هنا تم بحمد الله :**

آخر الجزء الأول من كتاب المغازى لابن إسحاق - يتلوه الجزء الثانى إن شاء الله

قصة بَحِيرَا الراهب

والحمد لله حق حمده ، وصلواته على محمد خير خلقه ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ·

* * *

القسم الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله

* قصة بَحيرا الراهب (١)

أخبرنا الشيخ أبو الحسين أحمد بن محمد بن النَّقُّور البزاز قراءة عليه وأنا أسمع قال : أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص قال : قرئ على أبى الحسين رضوان بن أحمد وأنا أسمع قال : حدثنا أبو عمر أحمد بن عبد الجبار العُطاردى قال : حدثنا يُونُس بن بُكير عن محمد بن إسحاق قال : وكان أبو طالب هو الذى أضاف أمر رسول الله ﷺ إليه بعد جده ، فكان إليه ومعه (٢) .

* محمد يخرج مع عمه إلى الشام

ثم إن أبا طالب خرج فى ركب إلى الشام تاجرًا ، فلما تهيأ للرحيل ، وأجمع السير صبَّ (٣) له رسول الله ﷺ فأخذ بزمام ناقته وقال : يا عمِّ إلى من تكلنى لا أب لى ولا أم ؟ فرقَّ له أبو طالب وقال : والله لأخرجن به معى ولا يفارقنى ولا أفارقه أبدًا ؛ أو كما قال (٤) .

---

(١) كان حق هذا الحديث أن يأتى فى آخر الجزء الأول تحت عنوان « كفالة أبى طالب رسول الله ﷺ » ولكن نظرًا لالتزامنا بالأصل أردنا التنبيه .

(٢) جاء فى سيرة ابن هشام : المسير راجع أى طبعة من طبعات السيرة النبوية لابن هشام .

(٣) أى تعلق به وحن إليه ، والصبابة : رقة الشوق ، ويذكر عن بعض السلف أنه قرأ الآية رقم (٣٣) فى سورة يوسف : ﴿ أصب إليهن وأكن من الجاهلين ﴾ ، وفى غير رواية أبى بحر : ضبث به رسول الله ﷺ : أى لزمه . انظر السيرة النبوية لابن هشام ط . دار الجيل تحقيق طه عبد الرءوف سعد ١ / ٣٢٠ .

(٤) كان رسول الله ﷺ إذ ذاك ابن تسع سنين كما ذكر بعض أهل السير ، وقال الطبرى : ابن اثنتى عشرة سنة .

* بحيرا يحتفى بتجار قريش :

فخرج به معه ، فلما نزل الركب بُصرى من أرض الشام ، وبها راهب يقال له بَحيراً فى صومعة له ، وكان أعلم أهل النصرانية ، ولم يزل فى تلك الصومعة قط راهب إليه يصير علمهم عن كتاب فيهم فيما يزعمون يتوارثونه كابراً عن كابر ، فلما نزلوا ذلك العام ببَحيرا [(١)] وكانوا كثيراً مما يمرون به قبل ذلك لا يكلمهم ولا يعرض لهم ، حتى إذا كان ذلك العام نزلوا به قريبًا من صومعته ، فصنع لهم طعامًا كثيراً ، وذلك – فيما يزعمون – عن شىء رآه وهو فى صومعته فى الركب ، حين أقبلوا وغمامًا تظله من بين القوم ، ثم أقبلوا حتى نزلوا بظل شجرة قريبًا منه ، فنظر إلى الغمامة حتى أظلت الشجرة ، وتهصَّرت [(٢)] أغصان الشجرة على رسول الله ﷺ حتى استظل تحتها ، فلما رأى ذلك بَحيراً نزل من صومعته وقد أمر بذلك الطعام فصنع ، ثم أرسل إليهم فقال : إنى قد صنعت لكم طعامًا يا معشر قريش ، وأنا أحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم ، وحرُّكم وعبدكم ، فقال له رجل منهم : يا بَحِيرا [(٣)] إن لك اليوم لشأنا ما كنت تصنع هذا فيما مضى ، وقد كنا نمر بك كثيراً فما شأنك اليوم ؟ فقال له بحيرا : صدقت قد كان ما تقول ، ولكنكم ضيف ، وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعامًا تأكلون منه كلكم ، صغيركم وكبيركم ، فاجتمعوا إليه ، وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم – لحداثة سنه – فى رحال القوم تحت الشجرة ، فلما نظر بَحيرا فى القوم لم ير الصفة التى يعرف ويجد عنده ، قال : يا معشر قريش لا يتخلف أحد منكم عن طعامى هذا ، قالوا له : يا بحيرا ما تخلف عنك أحد ينبغى له أن يأتيك إلاَّ غلام هو أحدث القوم سنًّا تخلف فى رحالهـــم ، قال : فلا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم ، فقال رجل من

---

(١) جاء فى سيرة الزهرى أن بحيرا كان حبراً من يهود تيماء ، وجاء فى المسعودى : أنه كان من عبد القيس ، واسمه : سَرجـــس ، وذكر ابن قتيبة فى المعارف أنه سُمع قبل الإسلام . بقليل هاتف يهتف : ألا إن خير أهل الأرض ثلاثة : بحيرا ، ورباب بن البراء الشنِّى ، والثالث : المنتظر ، فكان الثالث رسول الله ﷺ .

(٢) أى مالت وتدلت .

(٣) الصواب فتح أوله وكسر ثانيه وليس ما ينطقه العامة .

القوم من قريش: واللاَّت والعُزَّى إن هذا للؤم بنا، يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن الطعام من بيننا ! ثم قام إليه فاحتضنه، ثم أقبل به حتى أجلسه مع القوم .

* **بحيرا يتثبت من محمد ﷺ :**

فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظًا شديدًا وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده فى صفته ، حتى إذا فرغ القوم من الطعام وتفرقوا قام بَحِيرا فقال له : يا غلام أسألك باللاَّت والعُزى إلاَّ أخبرتنى عما أسألك عنه ، وإنما قال له بَحِيرا ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما ، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال له : لا تسلنى باللات والعُزى شيئًا فوالله ما أبغضتُ شيئًا قط بغضهما ، فقال له بحيرا : فبالله إلاَّ أخبرتنى عما أسلك عنه ، قال : سلنى عما بدا لك ، فجعل يسأله عن أشياء من حـــاله : من نومه ، وهيئته ، وأموره ، فجعل رسول الله ﷺ يخبره فيوافق ذلك ما عند بَحِيرا من صفته ، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التى عنده [1] .

* **بحيرا يوصى أبا طالب بمحمد ﷺ :**

فلما فرغ منه أقبل على عمه أبى طالب فقال له ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابنى ، قال له بحيرا : ما هو بابنك ، وما ينبغى لهذا الـــغلام أن يكون أبوه حيًّا ، قال : فإنه ابن أخي ، قال : فما فعل أبوه ؟ قال : مات وأمه حبلى به ، قال : صدقت ، ارجع بابن أخيك إلى بلده ، واحذر عليه اليهود ، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرًّا ، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن فأسرع به إلى بلاده ، فخرج به عمه أبو طالب سريعًا حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام .

* **بعض أهل الكتاب يريدون بمحمد ﷺ الشر :**

فزعموا فيما يتحدث الناس أن زبيرا [2] وتمَّامًا ، ودريسا ، وهم نفر من أهل الكتاب قد كانوا رأوا من رسول الله ﷺ - فى ذلك السفر الذى كان فيه مع عمه

---

(١) لمزيد من المعرفة فى هذا الموضوع انظر كتاب الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية للترمذى تحقيق طه عبد الرءوف سعد ط مؤسسة روز اليوسف .

(٢) جاء فى سيرة هشام « زريراً » .

أبى طالب - آشياء ، فأرادوه ، فردهم عنه بحيرا [١] ، وذكرهم الله عز وجل ، وما يجدون فى الكتاب [٢] من ذكره وصفته ، أنهم إن أجمعوا لما أرادوا لم يخلصوا إليه ، حتى عرفوا ما قال لهم ، وصدقوه بما قال ، فتركوه وانصرفوا ، فقال أبو طالب فى ذلك من الشعر ، يذكر مسيره برسول الله ﷺ وما أرادوا منه - أولئك النفر ، وما قال لهم فيه بحيرا :

إنَّ ابنَ آمنَةَ النبــى مُحمدًا ... عِندِى بِمثْل مَنَازِل الأَوْلاَدِ

لَمَّا تَعلَّقَ بالزمَامِ رَحِمتُهُ ... وَالعِيسُ قَد قَلَّصن بِالأَزوَادِ

فَارفضَّ مِنْ عَيْنىَّ دَمْعٌ ذَارِفٌ ... مِثْلَ الجُمَانِ مُفرَّق الأَفْرَادِ

رَاعيتُ فيـه قَرابَةً مَوصُولَةً ... وَحَفِظتُ فيه وَصِيَّة الأَجْدَادِ

وَأَمَرْتُه بالسيـر بَيْن عُمُومَةٍ ... بِيضِ الوُجوهِ مَصالِتٍ أَنْجَادِ

سَاروا لأبعـد طَيَّةٍ مَعْلُومةٍ ... فَلَقد تَباعد طَـيه المرتَادِ

حَتَّى إذا ما القوم بُصرى عَاينوا ... لاقوا على شـرك من المِرصَادِ

حَبْرًا فأخبرهم حَدِيثًا صادقًا ... عَنْهُ وَردَّ مَعاشـر الحسَّادِ

قَوما يَهودًا قد رأوا ما قد رَأى ... ظَلَّ الغمامُ وعز ذِى الأَكَيادِ

سَاروا لقتْل مُحمـد فَنهاهُمُ ... عنه وأَجْهَدَ أَحْسَنَ الإِجْهَادِ

فَثَنى زَبيرًا بَحـيرٌ فَانثنى ... فى القوم بَعْدَ تَجادُلٍ وبعَادِ

وَنَهى دَرِيسًا فَانتهى عَنْ قَوْلِهِ ... حَبْرٌ يُوافِقُ أَمْـرهُ بِرَشَادِ

وقال أبو طالب أيضًا :

أَلَمْ تَرنِى مِنْ بَعْدِ هَمٍّ هممته ... بِفُرقَةِ حُرِّ الوالـدين كِرام

---

(١) أورد السهيلى فى الروض : ١ / ٢٠٥ خلاصة المادة الإخبارية العربية حول شخصية بحيرا الراهب ، هذا وتحوى مدينة بصرى بين خرائبها بقايا كنيسة كبيرة يعتقد الأهلون أنها بقايا كنيسة بحيرا ، كل هذا فى حين أن غالبية علماء السيرة لهذا العصر ينفون وجود شخصية بحيرا تاريخيا ، ويرون أن الأخبار حولها مخترعة ، أملاها مجاراة ما جاء فى سير حياة الأنبياء الكتابيين وغيرهم من نبوءات وبشائر . انظر سيرة ابن إسحاق تحقيق د / سهيل زكار .

(٢) أى فى التوراة .

بِأَحمد لما أن شَدَدْتُ مَطِيَّتى ... بِرَحْلِى وَقَدْ ودَّعته بِسَلاَم
بَكى حُزْنًا والعِيسُ قَد فَصَلَتْ بنا ... وَأَخذتُ بالكَفَّين فَضْل زِمَام
ذَكرتُ أَباهُ ثُم رَقْرقت عَبْرةً ... تَجُودُ مِنَ العَينين ذَات سِجَام
فَقلتُ : تَروحُ رَاشدًا فى عُمومَةٍ ... مُواسِينَ فى البَأساء غَير لِئَام
فَرُحْنَا مَع العِير التى رَاح أَهْلُها ... شَآمَى الهوَى والأَصْل غير شآمى
فَلما هَبطْنَا أَرض بُصْرَى تَشرَّفُوا ... لَنا فوق دور يَنظرون جِسَام
فَجاد بَحِيرا عِند ذلك حاشدًا ... لَنـــا بِشَراب طَيِّب وَطَعَام
فَقال : اجْمعوا أَصْحَابكم لِطَعامنَا ... فَقُلْنَا جَمعنا القَوم غَير غُلاَم
يَتِيم فَقَـــال : ادْعُوهُ إن طَعامنَا ... كَثِيرٌ ، عَليه اليوم غَيْرَ حَرام
فَلَما رآهُ مُقْبلاً نَحـــو دَاره ... يُوقيه حَرَّ الشَمـــس ظِلٌّ غَمام
حَنَا رَأسه شِبْه السجُودِ وَضَمَّهُ ... إلى نَحرِه والصَّدْر أى ضَمَام
وَأقبل رَكْب يَطلبون الذى رَأى ... بَحِيرًا من الأعلام وَسْطَ خِيَام
فَثَارَ إليهـــم خَشْيَة لِعَرامِهم ... وَكانوا ذَوِى دهًى مَعـــا وعِرَام
دَرِيسًا وتَمَّامًا وقَد كـــان فِيهمُ ... زَبِيرًا وكل القـــوم غَيْر نِيام
فَجاءوا وقـــد هَمُّوا بِقَتل مُحمد ... فَردَّهُم عَنــــه بِحُسْنِ خِصَام
بِتَأويلِه التـــوراة حَتَى تَفرقوا ... وَقال لهـــم : ما أنتم بِطَغَام
فَذلك من أَعْلامـــه وَبيانِه ... وَليس نَهارٌ وَاضِـــح كَظَلَام

وقال أبو طالب أيضًا :

بَكى طَرِبًا لَمَّا رآنا مُحمــــدٌ ... كَأَن لا يَرانى راجعًا لِمَعادِ
فَبِتُّ يُجَافِينـــى تَهلُّل دَمْعَة ... وَقُرْبَته من مَضْجَعى وَوِسَادِى
فَقلتُ لَه : قرِّب قُعودكَ وارتَحِلْ ... وَلا تَخْش منِّى جفْوةً بِبلادِى
وَخلِّ زِمَام العِيسِ وَارتحلن بنا ... عَلى عَزْمَةٍ مَن أَمْرِنا وَرشَادِ

وَرِح رائحًا فى الراشدين مشيّعا لذى رَحِمٍ فى القوم غَيْرِ مَعادِ
فَرحنا مع العير التى راح رَكبها يؤمُّون عَلى غورى أرض إيادِ
فما رجعوا حتى رأوا من مُحمد أحاديث تجلو غمَّ كل فؤادِ
وحتَّى رأوا أحبار كل مدينة سُجودًا له من عصبة وفرادِ
زَبيرًا وتمَّامًا وقد كان شاهدًا دَريسًا وهمُّوا كلهم بفسَادِ
فَقال لهم قولاً بحيرا وأيقنوا له بعد تكذيب وطُول بُعَادِ
كما قال للرهط الذين تَهودَّوُا وَجَاهدهم فى الله كُلَّ جِهادِ
فقال ولم يملك له النُّصْحَ : رُدُّهُ فَإن لَه أرصاد كل مُضادِ
فَإنى أَخافُ الحاسِدين وَإنه أخو الكتب مكتوب بكل مِدَادِ

* محمد ﷺ يشب على مكارم الأخلاق :

حدثنا أحمد قال : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : فشب رسول الله ﷺ يكلؤه الله ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية ومعائبها لما يريد به من كرامته ، ورسالته ، وهو على دين قومه ، حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مُروءة ، وأحسنهم خَلقًا ، وأكرمهم مخالطة ، وأحسنهم جوارًا ، وأعظمهم خُلُقًا وأصدقهم حديثًا ، وأعظمهم أمانة ، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التى تدنس الرجال تنزهًا وتكرمًا ، حتى ما اسمه فى قومه إلاَّ الأمين ، لما جمع الله عز وجل فيه من الأمور الصالحة ، وكان رسول الله ﷺ ، فيما ذكر لى ، يُحدث عما كان يحفظه الله عز وجل فى صِغره وأمر جاهليته .

* * *

*** رسول الله ﷺ يحدِّث عن حفظ الله له :**

حدثنا أحمد : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : فحدثنى والدى إسحاق بن يَسَار عمن حدَّثه عن رسول الله ﷺ أنه قال فيما يَذكر من حفظ الله عز وجل إياه : إنى لمع غلمان هم أسنانى [١] قد جعلنا أزرنا على أعناقنا لحجارة ننقلها نلعب بها إذ لكمنى لاكم لكمة شديدة ثم قال : اشدد عليك إزارك [٢] .

حدثنا أحمد قال : نا يُونُس عن عَمرو بن ثابت عن سماك بن حرب عن عِكْرِمة عن ابن عباس قال : حدثنى أبى العباس بن عبد المطلب قال : كنا ننقل الحجارة حين بنت قريش البيت ، فأفردت قريش رجلين رجلين ، وكان النساء ينقلن الشيد ، وكان الرجال ينقلون الحجارة ، فكنت أنقل أنا وابن أخى ، فكنا نحمل على رقابنا وأزرنا تحت الحجارة ، فإذا غشينا الناس ائتزرنا ، فبينا أنا أمشى ومحمد ﷺ قدامى ليس عليه شىء ، إذ خرَّ محمد فانبطح ، فألقيت حجرى وجئت أسعى وهو ينظر إلى السماء فوقه ، فقلت ما شأنك ؟ فقام فأخذ إزاره ونهانى أمشى عُرْيانًا ، فلبثت أكتمها الناس مخافة أن يقولوا مجنون ، حتى أظهر الله عز وجل نبوته .

حدثنا أحمد قال : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : حدثنى محمد بن عبد الله ابن قَيس بن مَخْرَمَة عن الحسن بن محمد بن على بن أبى طالب عن أبيه عن جده على بن أبى طالب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما هَممت بشىء مما كان أهل الجاهلية يهمون به من النساء إلا ليلتين كلتاهما عصمنى الله عز وجل فيهما : قلت ليلة لبعض فتيان مكة ونحن فى رعاية غنم أهلنا ، فقلت لصاحبى : أتبصر لى غنمى حتى أدخل مكة فأسمر فيها كما يسمر الفتيان ؟ فقال بلى ، قال : فدخلت

---

(١) أى سنهم واحدة أو متقاربة .

(٢) هذه القصة وردت فى الحديث الصحيح فى بنيان الكعبة ، وكان ﷺ ينقل الحجارة مع قومه إليها ، وكانوا يجعلون أزرهم على عواتقهم لتقيهم الحجارة وكان ﷺ يحملها على عاتقه ، وإزاره مشدود به ، فقال له العباس رضي الله عنه : يا ابن أخى لو جعلت إزارك على عاتقك ففعل فسقط مغشيا عليه ، ثم قال : إزارى إزارى فشد عليه إزاره وقام يحمل الحجارة ، وفى حديث آخر ، أنه لما سقط ضمه العباس إلى نفسه ، وسأله عن شأنه فأخبره أنه نودى من السماء : أن اشدد عليك إزارك يا محمد ، قال : وإنه لأول ما نودى .

انظر السيرة النبوية لابن هشام تحقيق طه عبد الرءوف سعد ط . دار الجيل ١ / ٣٢٣ .

حتى إذا جئت أول دار من دور مكة سمعت عزفًا بالغرابيل والمزامير ، فقلت : ما هذا ؟ فقيل : تزوج فلان فلانة، فجلست أنظر ، وضرب الله عز وجل على أذنى ، فوالله ما أيقظنى إلاَّ مسُّ الشمس ، فرجعت إلى صاحبى ، فقال : ما فعلت ؟ فقلت : ما فعلت شيئًا ثم أخبرته بالذى رأيت ، ثم قلت له ليلة أخرى : أبصر لى غنمى حتى أسمر بمكة ، ففعل ، فدخلت ، فلما جئت مكة سمعت مثل الذى سمعت تلك الليلة ، فسألت فقيل : فلان نكح[1] فلانة فجلست أنظر ، وضرب الله عز وجل على أذنى ، فوالله ما أيقظنى إلاَّ مس الشمس ، فرجعت إلى صاحبى فقال : ما فعلت ؟ فقلت : لا شىء ، ثم أخبرته الخبر ، فوالله ما هممت ولا عدت بعدهما لشىء من ذلك حتى أكرمنى الله عز وجل بنبوته .

* * *

(١) نكح عقَد عقْد الزواج .

حَدِيثُ خَدِيجَةَ ابنَةِ خُوَيْلِد (١)

* خروجه ﷺ إلى التجارة بمال خديجة :

حدثنا أحمد : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : وكانت خديجة ابنة خُويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال فى مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم منه ، وكانت قريش قومًا تجارًا ، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه ، وعظم أمانته ، وكرم أخلاقه ، بعثت إليه ، فعرضت عليه أن يخرج فى مالها تاجرًا إلى الشام ، وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار مع غلام لها يقال له ميسرة ، فقبله منها رسول الله ﷺ ، وخرج فى مالها ذلك ، ومعه غلامها مَيْسَرة ، حتى قدم الشام ، فنزل رسول الله ﷺ فى ظل شجرة قريبًا من صومعة راهب من الرهبان ، فاطلع الراهب على ميسرة ، فقال : من هذا الرجل الذى نزل تحت هذه الشجرة ؟ فقال له مَيْسَرة : هذا رجل من قريش من أهل الحرم ، فقال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبى .

ثم باع رسول الله ﷺ سلعته التى خرج بها ، واشترى ما أراد أن يشترىَ ثم أقبل قافلاً إلى مكة ومعه ميسرة ، فكان ميسرة فيما يزعمون ، إذا كانت الهاجرة ، واشتد الحر يرى ملكين يظلانه من الشمس (٢) ، وهو يسير على بعيره ، فلما قدم مكة على خديجة بمالها ، باعت ما جاء به ، فأضعف ، أو قريبًا ، وحدثها ميسرة عن قول الراهب ، وعما كان يرى من إظلال الملكين إياه ، وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة ، مع ما أراد الله عز وجل بها من كرامته .

* خديجة ترغب فى الزواج منه :

فلما أخبرها ميسرة عما أخبرها به بعثت إلى رسول الله ﷺ ، فقالت له ،

---

(١) خديجة بنت خويلد تسمى الطاهرة فى الجاهلية والإسلام وفى سير التيمى : أنها كانت تسمى : سيدة نساء قريش ، وكانت متزوجة قبل رسول الله ﷺ من هند بن زرارة ، وكانت قبله متزوجة عتيق بن عائذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، وولدت له عبد مناف بن عتيق ، ولخديجة من هند ابنان اسم أحدهما الطاهر : والآخر : هالة . انظر الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية للإمام الترمذى تحقيق طه عبد الرءوف سعد .

(٢) أى يظلان رسول الله ﷺ .

فيما يزعمون - يا ابن عم إنى قد رغبت فيك لقرابتك منى ، وشرفك فى قومك ، وسِطتك [١] فيهم ، وأمانتك عندهم ، وحُسن خُلقك ، وصدق حديثك ، ثم عرضت عليه نفسها ، وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسبًا ، وأعظمهم شرفًا ، وأكثرهم مالا ، كل قومها قد كان حريصًا على ذلك منها لو يقدر على ذلك .

*** نسب خديجة رضي الله عنها :**

وهى خديجة ابنة خُويلد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصى بن كلاب بن مُرَّة بن كَعب بن لُؤى بن غَالب بن فِهر بن مَالك بن النَّضْر بن كنانة ، وأمهَا فاطمة ابنة زَيد ابن الأصم بن رَوَاحَة بن حَجَرٍ بن عبد بن مَعيص بن عامر بن لُؤى ، وأمها هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن عبد بن مَنْقذ بن عَمرو بن مَعيص بن عامر بن لُؤى ، وأمها فلانة ابنة سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هَصيص بن كعب بن لُؤى ، وأمها عَاتكة ابنة عبد العُزى بن قُصى ، وأمها رَيْطة ابنة كعب بن سعد بن تيم بن مُرة بن كَعَب بن لُؤى ، وأمها قيلة ابنة حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى وأمها أُميمة ابنة عامر بن الحارث بن فـهر ، وأمها ابنة سـعد بن كَعب بن عمرو ، من خُزاعة ، وأمها فلانة ابنة حرب بن الحارث بن فِهر ، وأمها سلمى بنت غالب بن فهر ، وأمها ابنة محارب بن فهر .

*** الرسول صلى الله عليه وسلم يتزوج من خديجة بعد استشارة أعمامه :**

حدثنا أحمد قال : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فلما قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما قالت ، ذكر ذلك لأعمامه ، فخرج معه منهم حمزة بن عبد المطلب حتى دخل على أسد بن أسد ، فخطبها إليه فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] .

*** أولاده صلى الله عليه وسلم من خديجة :**

فولدت له قبل أن ينزل عليه الوحى ولده كلهم : زينب ، وأم كلثوم ، ورقية ، وفاطمة ، والقاسم ، والطاهر ، والطيب ، فأما القاسم ، والطاهر والطيب فهلكوا قبل الإسلام وبالقاسم كان يكـنى صلى الله عليه وسلم ، فأما بناته فأدركن الإسلام ، وهاجرن معه ، واتبعنه ، وآمنَّ به عليه الصلاة والسلام .

* * *

---

(١) اى علو شأنك ونسبك ، فالسِّطة من الوسط ، مصدر كالعدة والزِّنة والوسط من أوصاف المدح والتفضيل فى مقامين : ذكر النسب ، وذكر الشهادة ، وهنا ذكر النسب .

(٢) قيل كان سنُّه صلى الله عليه وسلم إحدى وعشرين ، وقيل ثلاثين وقيل خمسا وعشرين .

قصَّة الأَحْبَار

حدثنا أحمد قال : نا يُونُسَ عن ابن إسحاقَ قال : وكانت الأَحبارُ والرهبانُ أهل الكتابين هم أعلم برسول الله ﷺ قبل مبعثه وزمانه الذى يترقب فيه من العرب ، لما يجدون فى كتبهم من صفاته ، وما أثبت فيها عندهم من اسمه ، وبما أخذ عليهم من الميثاق له فى عهد أنبيائهم وكتبهم فى اتباعه ، فيستفتحون به على أهل الأوثان من أهل الشرك ، ويخبرونهم أن نبيًّا مبعوثًا بدين إبراهيم اسمه أحمد ، كذلك يجدونه فى كتبهم وعهد أنبيائهم ، يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ **الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبًا عندهم** ﴾ إلى قوله : ﴿ **أولئك هم المفلحون** ﴾ (١) وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ **وإذ قال عيسى ابن مريم يا بنى إسرائيل** ﴾ (٢) الآية كلها ، وقال : ﴿ **محمد رسول الله والذين معه** ﴾ (٣) الآية كلها ، وقوله : ﴿ **وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا** ﴾ إلى قوله : ﴿ **فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين** ﴾ (٤) .

حدثنا أحمد قال : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : وكانت العرب أميين لا يدرسون كتابًا ، ولا يعرفون من الرسل عهدًا ، ولا يعرفون جنة ولا نارًا ، ولا بعثًا ولا قيامة إلا شيئًا يسمعونه من أهل الكتاب ، لا يثبت فى صدورهم ، ولا يعملون به شيئًا من أعمالهم .

فكان فيما بلغنا من حديث الأحبار والرهبان عن رسول الله ﷺ قبل أن يبعثه الله عز وجل بزمان .

* اليهود يُخبرون العرب بقرب زمان رسول الله ﷺ :

حدثنا أحمد قال : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة قال حدثنى أشياخ منا قالوا : لم يكن أحد من العرب أعلم بشأن

(١) سورة الأعراف : الآية ١٥٧ .

(٢) سورة الصف : الآية ٦ .

(٣) سورة الفتح : الآية ٢٩ .

(٤) سورة البقرة : الآيات ٨٩ - ٩٠ .

رسول الله ﷺ منا ، وكان معنا يهود ، وكانوا أهل كتاب ، وكنا أصحاب وثن ، فكنا إذا بلغنا منهم ما يكرهون قالوا : إن نبيًّا مبعوثًا الآن قد أظل زمانه نتبعه ، فنقتلكم معه قتل عاد وإرم ، فلما بعث الله رسوله اتبعناه وكفروا به ، ففينا والله وفيهم أنزل الله عز وجل : ﴿ **وكانوا من قبل يستفتحون** [١] **على الذين كفروا فلما جاءهم** ﴾ [٢] الآية .

حدثنا أحمد قال : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : حدثني صالح بن إبراهيم ابن عبد الرحمن بن عَوف عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زَرارة قال : حدثني من شئت من رجال قومي عن حَسان بن ثابت قال : والله إني لغلام يفعة ابن سبع سنين أو ابن ثماني سنين أعقل كل ما سمعت إذ سمعت يهوديا وهو على أطمَة [٣] بيثرب ، يصرخ : يا معشر يهود ، فلما اجتمعوا إليه قالوا : ويلك مالك ؟ قال : طلع نجم أحمد ، الذي يبعث به ، الليلة .

حدثنا أحمد : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : حدثني صالح بن إبراهيم عن محمود بن لبيد عن سَلمة بن سلامة بن وقْش قال : كان بين أبياتنا يهودي ، فخرج على نادي قومي بني عبد الأشهل ذات غداة ، فذكر البعث والقيامة ، والجنة والنار ، والحساب والميزان ، فقال ذاك لأصحاب وثن لا يرون أن بعثًا كائن بعد الموت ، وذلك قبيل مبعث رسول الله ﷺ ، فقالوا : ويلك يا فلان ، وهذا كائن ، إن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار ، يجزون من أعمالهم ؟ قال : نعم والذي يُحلف به ، لوددت أن حظي من تلك النار ، أن توقدوا أعظم تَنُّورٍ في داركم فتحمونه ، ثم تقذفوني فيه ، ثم تطينون علي ، وإني أنجو من النار غداً ، فقيل : يا فلان فما علامة ذلك ؟ قال : نبي يبعث من ناحية هذه البلاد ، وأشار بيده نحو مكة واليمن قالوا : فمتى نراه ؟ فومئ بطرفه فرآني وأنا مضطجع بفناء باب أهلي ، فقال - وأنا أحدث القوم - إن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه فما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله عز وجل رسوله ﷺ ، وإنه لحي بين أظهركم - فآمنا به ، وصدقناه ، وكفر به بغيًا وحسدا، فقلنا له: يا فلان ألست الذي قلت ما قلت ، وأخبرتنا ؟ قال : ليس به .

---

(١) يستفتحون : يستنصرون . (٢) سورة البقرة : الآية ٨٩ .

(٣) الأطمة : المكان العالي بالجبل .

* يهودى يتسبب فى إسلام ثلاثة :

حدثنا أحمد قال : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بنى قريظة قال : هل تدرى عما كان إسلام أُسيد وثعلبة ابنى سعية [١] وأسد بن عُبيد ، نفر من هُذَيل [٢] ، لم يكونوا من بنى قُريظة ولا النضير ، كانوا فوق ذلك ؟ فقلت : لا ، قال : فإنه قدم علينا رجل من الشام من يهود يقال له ابن الهيِّبان ، فأقام عندنا ، والله ما رأينا رجلا قط لا يصلى الخمس خيراً منه ، فقدم علينا قبل مبعث رسول الله ﷺ بسنين ، فكنا إذا قحطنا وقل علينا المطر نقول : يا ابن الهيبان اخرج فاستسق لنا ، فيقول لا والله حتى تقدموا أمام مخرجكم صدقة ، فنقول : كم ؟ فيقول : صاعًا من تمر ، أو مُدَّين من شعير ، فنخرجه ، ثم نخرج إلى ظاهر حرتنا ، ونحن معه فيستسقى ، فوالله ما يقوم من مجلسه حتى تمر الشعاب [٣] ، قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ، ولا ثلاثة فحضرته الوفاة ، فاجتمعنا إليه فقال : يا معشر يهود ما ترونه أخرجنى من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع ؟ قالوا : أنت أعلم ، قال : فإنما أخرجنى ، أتوقع خروج نبى قد أظل زمانه ، هذه البلاد مهاجره فأتبعه ، فلا تُسبقن إليه إذا خرج يا معشر يهود ، فإنه يبعث بسفك الدماء وسبى الذرارى والنساء ممن خالفه ، فلا يمنعكم ذلك منه ، ثم مات ؛ فلما كانت الليلة التى فتحت فيها قريظة ، قال أولئك الفتية الثلاثة ، وكانوا شبابًا أحداثًا : يا معشر يهود والله إنه الذى كان ذكر ابن الهيبان ، فقالوا : ما هو به ، قالوا : بلى والله إنه لصفته ، ثم نزلوا فأسلموا ، وأحرزوا أموالهم وأولادهم وأهاليهم [٤] .

---

(١) روى إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف المدينى عن ابن إسحاق : أسيد بضم الألف ، وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق : وهو قول الواقدى وغيره : أسيد بفتحها ، قال الدارقطنى ، وهذا هو الصواب ولا يصح ما قاله إبراهيم عن ابن إسحاق ، وبنو سعية فيهم أنزل الله عز وجل ﴿ من أهل الكتاب أمة قائمة ﴾ وسعيه أبوهم ، يقال له : ابن العريض انظر السيرة النبوية لابن هشام تحقيق طه عبد الرءوف سعد مكتبة الكليات الأزهرية ١ / ١٩٦ .

(٢) جاء فى سيرة ابن هشام « هدل » .

(٣) فى السيرة النبوية لابن هشام « حتى تمر السحابة ونسقى » انظر السيرة النبوية ط دار المنار ١ / ٢١٩ .

(٤) قال ابن إسحاق : فهذا ما بلغنا عن أخبار يهود .

نا أحمد : قال : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : كانت أموالهم فى الحصن مع المشركين ، فلما فتح رد ذلك عليهم .

نا أحمد : نا يُونُس عن قيس بن الربيع عن يونس بن أبى مسلم عن عكرمة أن ناسًا من أهل الكتاب آمنوا برسلهم ، وصدقوهم ، وآمنوا بمحمد ﷺ قبل أن يبعث ، فلما بعث كفروا به ، فذلك قوله تبارك وتعالى : ﴿ **فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم** ﴾ (١) وكان قوم من أهل الكتاب آمنوا برسلهم وبمحمد ﷺ قبل أن يبعث ، فلما بعث محمد آمنوا به فذلك قوله : ﴿ **والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم** ﴾ (٢) .

* * *

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٠٦ .

(٢) سورة محمد ﷺ : الآية ١٧ .

إِسْلَامُ سَلْمَانَ الفَارِسىِّ رَحِمَهُ اللهُ ورضى عنه

* **سلمان ﷺ يتشوف إلى النصرانية بعد المجوسية :**

نا أحمد قال : نا يُونسُ بن بُكير عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن عبد الله بن عباس قال : حدثنى سلمان الفارسى قال : كنت رجلا من أهل فارس من أهل أَصْبهان [١] من قرية يقال لها جَىٌّ ، وكان أبى دِهقان أرضه ، وكان يحبنى حبًّا شديدًا ، لم يحبه شيئًا من ماله ولا ولده ، فما زال به حُبه إياى حتى حبسنى فى البيت كما يحبس الجارية ، واجتهدت فى المجوسية حتى كنت قَطن النار [٢] التى يوقدها لا يتركها تخبو ساعة ، فكنت كذلك لا أعلم من أمر الناس شيئًا إلا ما أنا فيه حتى بنى أبى بنيانًا له ، وكانت له ضيعة فيها بعض العمل ، فدعانى فقال : أى بنى إنه قد شغلنى ما ترى من بنيانى عن ضيعتى هذه ، ولا بد لى من اطلاعها ، فانطلق إليهم فمرهم بكذا وكذا ولا تحتبس عنى فإنك إن احتبست عنى شغلتنى عن كل شىء ، فخرجت أريد ضيعته ، فمررت بكنيسة النصارى ، فسمعت أصواتهم فيها ، فقلت : ما هذا ؟ فقالوا : هؤلاء النصارى يصلون ، فدخلت أنظر فأعجبنى ما رأيت من حالهم ، فوالله ما زلت جالسًا عندهم حتى غربت الشمس ، وبعث أبى في طلبي فى كل وجه حتى جئته حين أمسيت ، ولم أذهب إلى ضيعته ، فقال : أى بُنى أين كنت ، ألم أكن قلت لك ؟! فقلت يا أبتاه مررت بأناس يقال لهم (النصارى) فأعجبنى صلاتهم ودعاؤهم ، فجلست أنظر كيف يفعلون ، فقال : أى بُنى دينك ودين آبائك خير من دينهم ، فقلت : لا والله ما هو بخير من دينهم ، هؤلاء قوم يعبدون الله ويدعونه ويصلون له ، ونحن إنما نعبد نارًا نوقدها بأيدينا ، إذا تركناها ماتت ، فخافنى ، فجعل فى رجلى حديدًا وحبسنى فى بيت عنده .

---

(١) إصبهان : هكذا قيده البكرى فى كتاب المعجم بالكسر فى الهمزة ، وإصبه بالعربية : فرس ، وقيل : هو العسكر ، فمعنى الكلمة : موضع العسكر أو الخيل أو نحو هذا .

(٢) أى خادمها والقائم بشئونها .

* سلمان يهرب إلى الشام :

فبعثت إلى النصارى فقلت لهم : أين أهـل هذا الدين الذى أراكم عليه ؟ فقالوا : بالشام ، فقلت : فإذا قدم عليكـم من هناك أناس فآذنونى ، فقالوا : نفعل ، فقدم عليهم ناس من تجارهم ، فبعثوا إلى : إنه قد قدم علينا تجار من تجارنا ، فبعثت إليهم إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الخروج فآذنونى بهم ، قالوا : نفعل ، فلما قضوا حوائجهم ، وأرادوا الرحيل بعثوا إلى بذلك ، فطرحت الحديد الذى فى رجلى ، ولحقت بهم ، فانطلقت معهم حتى قدمت الشام فلما قدمتها ، قلت : من أفضل أهل هذا الدين ؟ قالوا : الأسقف صاحب الكنيسة .

* سلمان مع أسقف النصارى السيئ :

فجئته فقلت له : إنى قد أحببت أن أكون معك فى كنيستك ، وأعبد الله فيها معك ، وأتعلم منك الخير ؟ قال : فكن معى ، فكنت معه ، وكان رجل سوء ، كان يأمرهم بالصدقة ويرغِّبهم فيها ، فإذا جمعوها إليه اكتنزها ولم يعطها المساكين ، فأبغضته بغضًا شديدًا لما رأيت من حاله ، فلم ينشب أن مات ، فلما جاءوا ليدفنوه ، قلت لهم : إن هذا رجل سوء ، كان يأمركم بالصدقة ، ويرغبكم فيها ، حتى إذا جمعتموها إليه اكتنزها ولم يعطها المساكين ، فقالوا : وما علامة ذلك ؟ فقلت : أنا أخرج لكم كنزه ، فقالوا : فهاته فأخرجت لهم سبع قلال مملوءة ذهبًا وورِقًا [(١)] ، فلما رأوا ذلك ، قالوا : والله لا يدفن أبدًا فصلبوه على خشبة ،ورموه بالحجارة ، وجاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه .

* سلمان مع أسقف النصارى الصالح :

فلا والله يا بن عباس [(٢)] ما رأيت رجلا قط لا يصلى الخمس أرى أنه أفضل منه ، أشد اجتهادًا ، ولا أزهد فى الدنيا ، ولا أدأب ليلاً ولا نهارًا ، ما أعلمنى أحببت شيئًا قط قبله حبه ، فلم أزل معه حتى حضرته الوفاة ، فقلت : يا فُلان قد حضرك ما ترى من أمر الله عز وجل وإنى والله ما أحببت شيئًا قط حبك ، فماذا تأمرنى ، وإلى من توصينى ؟ قال : أى بنى والله ما أعلمه إلا رجلاً بالموصل ، فأتيه فإنك ستجده على مثل حالى .

---

(١) الورق : الفضة .

(٢) يظهر هنا من خلال السياق أن سلمان رضي الله عنه كان يتحدث ويحكى لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وهو آخر راو فى هذا السند .

* سلمان يلحق بأسقف الموصل :

فلما مات وغيب ، لحقت بالموصل ، فأتيت صاحبها ، فوجدته على مثل حاله من الاجتهاد والزهادة فى الدنيا ، فقلت له : إن فلانًا أوصانى إليك أن آتيك ، وأكون معك ، قال : فأقم أى بنى فأقمت عنده على مثل أمر صاحبه حتى حضرته الوفاة ، فقلت له : إن فلانا أوصانى إليك، وقد حضرك من أمر الله ما ترى، فإلى من ؟ قال : والله ما أعلمه أى بنى إلا رجلا بنصيبين هو على مثل ما نحن عليه ، فالحق به .

* سلمان يلحق بأسقف نصيبين :

فلما دفناه لحقت بالآخر [١] فقلت له : يا فلان إن فلانا أوصانى إلى فلان وفلان أوصانى إليك ، قال : فأقم أى بنى ، فأقمت عنده على مثل حالهم حتى حضرته الوفاة ، فقلت له : يا فلان إنه قد حضرك من أمر الله ما ترى ، وقد كان فلان أوصانى إلى فلان وأوصانى فلان إلى فلان ، وأوصانى فلان إليك ، فإلي من ؟ قال : أى بنى والله ما أعلم أحدًا على مثل ما نحن عليه إلا رجلا بعمورية من أرض الروم فأته فإنك ستجده على مثل ما كنا عليه .

* سلمان يلحق بصاحب عمورية :

فلما واريته خرجت حتى قدمت على صاحب عمورية [٢] فوجدته على مثل حالهم ، فأقمت عنده ، واكتسبت حتى كانت لى غنيمة وبقرات ، ثم حضرته الوفاة ، فقلت : يا فلان إن فلانًا كان أوصانى إلى فلان ، وفلان إلى فلان وفلان إليك ، وقد حضرك من أمر الله ما ترى ، فإلى من توصينى ؟ قال : أى بنى والله ما أعلمه بقى أحد على مثل ما كنا عليه آمرك أن تأتيه ، ولكنه قد أظلك زمان نبى يبعث من الحرم ، مهاجره بين حرتين إلى أرض سبخة ذات نخل ، وإن فيه علامات لا تخفى ، بين كتفيه خاتم النبوة ، يأكل الهدية ، ولا يأكل الصدقة ، فإن استطعت أن تخلص إلى تلك البلاد فافعل فإنه قد أظلك زمانه ، فلما واريناه أقمت على خير ، حتى مر بى رجال من تجار العرب ، من كلب ، فقلت لهم تحملوني معكم حتى تقدمونى أرض العرب وأعطيكم غنيمتى هذه وبقراتى ؟ قالوا : نعم .

---

(١) يقصد أسقف نصيبين ، ونصيبين مدينة بين الموصل والشام كانت مشهورة بكثرة البساتين .

(٢) هى مدينة ببلاد الروم فتحها الخليفة العباسى المعتصم بالله ، وقال فيها الشاعر أبو تمام قصيدة بعنوان « فتح عمورية » ، مطلعها : * السيف أصدق أنباء من الكتب * .

* سلمان يذهب إلى وادى القرى :

فأعطيتهم إياها وحملونى حتى إذا جاءوا بى وادى القرى ظلمونى فباعونى عبداً من رجل من يهود بوادى القرى ، فوالله لقد رأيت النخل وطمعت أن يكون البلد الذى نعت لى صاحبى ، وما حقت عندى حتى قدم رجل من بنى قريظة من يهود وادى القرى ، فابتاعنى من صاحبى الذى كنت عنده .

* سلمان يذهب إلى المدينة ويسمع بهجرة النبى ﷺ :

فخرج بى حتى قدم المدينة فوالله ما هو إلا أن رأيتها ، فعرفت نعته ، فأقمت فى رقى مع صاحبى ، وبعث الله عز وجل رسول الله ﷺ بمكة ، لا يذكر لى شىء من أمره مما أنا فيه من الرق حتى قدم رسول الله ﷺ قباء [(١)] ، وأنا أعمل لصاحبى فى نخلة له ، فوالله إنى لفيها إذ جاء ابن عم له ، فقال : فلان ، قاتل الله بنى قيلة [(٢)] ، والله إنهم الآن لفى قباء مجتمعون على رجل جاء من مكة يزعمون أنه نبى ، فوالله ما هو إلا أن سمعتها ، فأخذتنى العرواء - يقول الرعدة ، حتى ظننت لأسقطن على صاحبى ، ونزلت أقول ما هذا الخبر ، ما هو ؟ فرفع مولاى يده فلكمنى لكمة شديدة وقال : ما لك ولهذا ، أقبل على عملك ، فقلت : لا شىء إنما سمعت خبراً ، فأحببت أعلمه .

* سلمان يستوثق من رسالة محمد ﷺ :

فلما أمسيت وكان عندى شىء من طعام ، فحملته وذهبت إلى رسول الله ﷺ ، وهو بقباء ، فقلت : إنى بلغنى أنك رجل صالح ، وأن معك أصحاباً لك غرباء ، وقد كان عندى شىء للصدقة فرأيتكم أحق من بهذه البلاد به ، فها هو هذا فكل منه ، فأمسك رسول الله ﷺ يده وقال لأصحابه : كلوا ولم يأكل فقلت فى نفسى : هذه خلة مما وصف لى صاحبى ، ثم رجعت ، وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة ، فجمعت شيئًا كان عندى ، ثم جئته به ، فقلت : إني رأيتك لا تأكل الصدقة ، وهذه هدية وكرامة ليست بالصدقة ، فأكل رسول الله ﷺ ، وأكل أصحابه ، فقلت هذه خلتان ، ثم جئت رسول الله ﷺ وهو يتبع جنازة ، وعلى شملتان لى وهو فى أصحابه ، فاستدرت به لأنظر إلى الخاتم فى ظهره ، فلما رآنى

---

(١) قُباء : بالضم ، وهو اسم بئر فسمى المكان كله به وعرف به ، وهى قرية صغيرة وقد قدمها النبى ﷺ فى الهجرة وصلى فيها وبنى فيها مسجداً سمى مسجد قباء معروف حتى الآن وهو أول مسجد بنى فى الإسلام ، وتقع قباء على بعد ميلين من المدينة المنورة .

(٢) بنو قيلة : أى الأوس والخزرج ، وقيلة هى قيلة بنت كاهل بن عذرة بن سعد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة أم الأوس والخزرج .

رسول الله ﷺ استدبر عرف أني أستثبت من شيء قد وُصف لى ، فوضع رداءه عن ظهره ، فنظرت إلى الخاتم بين كتفيه كما وصف لى صاحبى ، فأكببت عليه أقبِّله ، وأبكى ، فقال : تحول يا سَلْمان هكذا ، فتحولت فجلست بين يديه ، وأحب أن يُسمع أصحابه حديثى عنه ، فحدثته يا ابن عباس كما حدثتك .

* سلمان يتحرر من الرق بمساعدة الرسول ﷺ :

فلما فرغت قال رسول الله ﷺ : كاتب يا سلمان ، فكاتبت صاحبى على ثلاثمائة نخلة أحييها له ، وأربعين أوقية ، فأعاننى أصحاب رسول الله ﷺ بالنخل ثلاثين ودية عشر ، كل رجل منهم على قدر ما عنده ، فقال لى رسول الله ﷺ : فقِّر لها فإذا فرغت فآذنى حتى أكون أنا الذى أضعها بيدى ، ففقرتها وأعاننى أصحابي - يقول حفرت لها حيث توضع ، حتى فرغنا منها ، ثم جئت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله قد فرغنا منها، فخرج معى حتى جاءها، فكنا نحمل إليه الودى فيضعه بيده ، ويسوى عليه ، فوالذى بعثه بالحق ما ماتت منها ودية واحدة [1] .

وبقيت علىَّ الدراهم ، فأتاه رجل من بعض المعادن بمثل البيضة من الذهب فقال رسول الله ﷺ : أين الفارسى المسلم المكاتب ؟ فدعيت له ، فقال : خذ هذه يا سلمان فأد بها ما عليك ، فوالذى نفس سلمان بيده لوزنت لهم منها أربعين أوقية ، فأديتها إليهم ، وعتق سلمان - وكان الرق قد حبسنى حتى فاتتنى مع رسول الله ﷺ بدر وأُحد ، ثم عتقت فشهدت الخندق ، ثم لم يفتنى معه مشهد .

* حديث سلمان مع صاحب عموريه :

نا أحمد : نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : حدثنى عاصم بن عمر بن قَتادة قال: حدثنى من سمع عمر بن عبد العزيز ، وحدث هذا من حديث سَلْمان ، فقال : حدثت عن سلمان أن صاحب عَمُورِية قال لسلمان ، حين حضرته الوفاة : ائت غَيضتين من أرض الشام فإن رجلاً يخرج من إحداهما إلى الأخرى فى كل سنة ليلة . يعترضه ذوو الأسقام ، فلا يدعو لأحد به مرَضٌ إلا شُفِى ، فسله عن هذا الدين الذى تسلني عنه ، عن الحنيفية دين إبراهيم ، فخرجت حتى أقمت بها سنة ، حتى خرج تلك الليلة من إحدى الغيضتين إلى الأخرى ، وإنما كان يخرج مستجيزاً ، فخرج وغلبنى عليه الناس حتى دخل فى الغيضة التى يدخل فيها حتى ما بقى إلا

---

(١) ورد أن سلمان غرس بيده ودية واحدة ، وغرس رسول الله ﷺ سائرها فعاشت كلها إلاَّ التى غرس سلمان .

منكبه ، فأخذت به فقلت : رحمك الله أخبرنى عن الحنيفية دين إبراهيم ؟ فقال : إنك لتسأل عن شيء ما يسأل عنه الناس اليوم ، قد أظلك زمان نبى يخرج عند هذا البيت ، بهذا الحرم ، يُبعث بسفك الدم(١) ، فلما ذكر ذلك سلمان لرسول الله ﷺ قال : لئن كنت صدقت يا سَلْمان لقد رأيت عيسى ابن مريم عليه السلام .

حدثنا أحمد قال : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى يزيد بن أبى حبيب عن رجل من عبد القيس عن سلمان قال : لما أعطانى رسول الله ﷺ ذلك الذهب فقال : اقض به عنك ، فقلت يا رسول الله ، وأين تقع هذه مما علىّ ؟ فقلبها رسول الله ﷺ على لسانه ، ثم قذفها إلىّ ، ثم قال : انطلق بها فإن الله عز وجل سيؤدى بها عنك ، فانطلقت فوزنت لهم منها حتى أوفيتهم منها أربعين أوقية .

حدثنا أحمد قال : نا يونس عن أبى ليلى قال : نا عتَّاب البكرى قال : كنا نجالس أبا سَعيد الخُدْرى فيبسط له على بابه بساط ثم يجعل عليه وسادة ويتكىء على الوسادة ونحن حوله نحدق به ، فسألته عن الخاتم الذى كان بين كتفى رسول الله ﷺ ما كان ؟ قال فأشار أبو سعيد بالسبَّابة [٢] ووضع الإبهام [٣] على أول مفصل أسفل من ذلك . قال يونس : أخرج المفصل كله ، قال : كانت بضعة ناشزة بين كتفى رسول الله ﷺ .

نا أحمد : نا يونس قال : قال ابن إسحاق : وكانت قريش يعظمون الكعبة ويطوفون بها ويستغفرون عندها مع تعظيم الأوثان والشرك فى ذبائحهم ، ويحجون ، ويقفون المواقف .



(١) لمن يستحق أن يسفك دمه فإنه بُعث رحمة للعالمين لا يسفك دم إلا زاهق النفس التى حرم الله أو الزانى المحصن أو التارك لدينه المفارق الجماعة .

(٢) السبابة : هو الأصبع التى نشير به فى التشهد فى الصلاة دليلا على الوحدانية .

(٣) الإبهام : هو الأصبع الكبير من أصابع اليد وهو ملاصق للسبابة .

أثر الكعبة

* آدم وبناء الكعبة :

نا أحمد : نا يونس عن سعيد بن مَيْسَرة البكْرى قال : حدثنى أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : كان موضع البيت فى زمن آدم شبرا أو أكثر ، فكانت الملائكة تحج إليه قبل آدم ، ثم حج آدم فاستقبلته الملائكة ، فقالوا : يا آدم من أين جئت ؟ قال حججت البيت ، قالوا : قد حجته الملائكة قبلك .

نا أحمد نا يونس عن ثابت بن دينار عن عطاء قال : أُهبِط آدم بالهند ، فقال : يا رب مالى لا أسمع صوت الملائكة كما كنت أسمعها فى الجنة ؟ فقال له : بخطيئتك يا آدم ، فانطلق فابن لى بيتًا فتطوف به كما رأيتهم يتطوفون ، فانطلق حتى أتى مكة فبنَى البيت ، فكان موضع قَدَمَىْ آدم قُرًى وأنهار وعمارة ، وما بين خطاه مفاوز ، فحج آدم البيت من الهند أربعين سنة [١] .

نا أحمد : نا يونس عن يحيى بن سلمة بن كهيل عن أبيه عن مجاهد قال : لما قيل لإبراهيم : ﴿ **وأذِّن فى الناس بالحج** ﴾[٢] قال يا رب كيف أقول ؟ قال : قل يا أيها الناس أجيبوا ربكم ، فصعد الجبل فنادى أيها الناس أجيبوا ربكم ، فأجابوه لبيك اللهم لبيك ، فكان هذا أول التلبية .

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى وهب بن سنان قال : سمعت عائذ بن عُمير الليثى يقول : لما أمر إبراهيم بدعاء الناس إلى الحج استقبل المشرق ، فدعا إلى الله عز وجل فأجيب لبيك لبيك ، ثم استقبل المغرب [٣] فدعا إلى الله عز وجل فأجيب : لبيك لبيك ، ثم استقبل الشام فدعا إلى الله عز وجل فأجيب لبيك لبيك ، ثم استقبل اليمن فدعا إلى الله عز وجل فأجيب لبيك لبيك .

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى ثقة من أهل المدينة عن عُروة

---

(١) ورد أيضًا عن عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء وابن المسيب وغيرهما أن الله عز وجل - أوحى إلى آدم : إذا هبطت ابن لى بيتًا ثم احفف به كما رأيت الملائكة تحف بعرشى الذى فى السماء . راجع تفسير القرطبى ١ / ٦١٣ ط دار الغد العربى .

(٢) سورة الحج : ٢٧ .　　　　(٣) أى جهة الغرب .

ابن الزبير أنه قال : ما من نبى إلاّ وقد حج البيت ، إلا ما كان من هود وصالح ، ولقد حجه نوح ، فلما كان من الأرض ما كان من الغرق أصاب البيت ما أصاب الأرض ، فكان البيت قطعة حمراء ، فبعث الله تعالى هودًا ، فتشاغل بأمر قومه ، حتى قبضه الله عز وجل إليه ، فلم يحجه حتى مات ، ثم بعث الله تعالى صالحًا فتشاغل بأمر قومه ، فلم يحجه حتـى مات ، فلما بوّأه [١] الله عز وجل لإبراهيم حجه ، ثم لم يبق نبى إلاّ حجه ٠

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق عن عطاء بن أبى رباح عن كعب الحبر قال: شكت الكعبة إلى ربها عز وجل ، وبكت إليه فقالت : أى ربٍّ ، قَلَّ زوّارى وجَفَانى الناس ، فقال الله عز وجل لها : إنى مُحْدِثٌ لك إنجيلا [كذا] ، وجاعل لك زوّارًا يحنون إليك حَنِين الحمامة إلى بيضاتها ٠

نا أحمد قال : حدثنى أبى قال : نا جرير بن عبد الحميد عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عَمرو قال: خُلِق البيت قبل الأرض بألفَى عام، ثم دُحِيت الأرض منه ٠

* إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يضعان الحجر :

ن أحمد : نا يونس عن الأسباط بن نصر الهمداني عن إسماعيل بن عبدالرحمن السدى قال : خرج آدم من الجنة معه حَجَر فى يده وورق فى الكف الأخرى ، فبث الورق بالهند فمنه ما ترون من الطيب ، وأما الحجر فكان ياقوتة بيضاء يستضاء بها ، فلما بنى [٢] إبراهيم البيت فبلغ موضع الحجر قال لإسـماعيل : ائتنى بحجر من الجبل ، فقال : غير هـذا ، فرده مراراً لا يرضى بما يأتيه ، فذهب مرة ، وجاءه جبريل بالحجر من الهند الذى أُخرِج به آدم من الجنة فوضعه ، فلما جاءه إسماعيل قال : من جاءك بهذا ؟ قال : من هو أنشط منك [٣] .

---

(١) أعدَّه له ، وأنزله إياه ٠

(٢) اختُلف فيمن بنى البيت أولاً وأسسه ، فقيل : الملائكة ، ثم لما طرد آدم من الجنة ، أمر ببناء الكعبة فبناها فكان بناء آدم أولا ثم بناء إبراهيم حينما أمره الله أن يرفع قواعدها هو وابنه إسماعيل عليهما السلام ٠ راجع كتب التفسير ٠

(٣) ورد أن جبل أبى قبيس نادى إبراهيم : يا خليل الرحمن إن لك عندى وديـعة فخذها ، فإذا هو بحجر أبيض من ياقوت الجنة كان آدم قد نزل به من الجنة ٠ انظر تفسير القرطبى ١ / ٦١٥ ط ٠ دار الغد العربى ٠

* وَصْفُ الحجَرِ الأَسودِ :

نا أحمد : نا يونس عن السرى بن إسماعيل عن عامر عن عُمر بن الخطاب أنه قال : الحجر الأسود من أحجار الجنة أُهبط إلى الأرض وهو أشد بياضًا من الكُرْسف [١] ، فما اسود إلا من خطايا بنى آدم ، ولولا ذلك ما مسه أبكم ولا أصم ولا أعمى إلا بَرأ .

نا أحمد : نا يونس عن عبد الرحمن بن عبد الله بن سَلمة بن كُهَيل عن رجل عن على أنه قال : السكينة لها وجه كوجه الإنسان وهى فى ذلك ريح هفافة .

نا أحمد : نايونس عن إبراهيم بن إسماعيل عن يَزيد الرَّقاشى عن أبيه عن أبى موسى الأشعرى أن رسول الله ﷺ قال : لقد مر بالصخرة من الروحاء سبعون نبيًّا حفاة عليهم العبأ يؤمون بيت الله العتيق منهم موسى عليه السلام .

نا أحمد : نا يونس عن سعيد بن ميسرة عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : كان الحجر من ياقوت الجنة فمسحه المشركون فاسود من مسحهم إياه .

نا أحمد نا يونس عن وهب بن عقبة عن عطية العوفى عن ابن عباس قال : إن الحَجَر الأسود من حجارة الجنة ، كان أشد بياضًا من اللبن فاسود مما مسحه بنو آدم من ذنوبهم .

نا أحمد نا يونس عن مَسْلَمة بن عبد الله القُرَشى عن عبد الكريم أبى أُمَيَّة قال : كان البيت ياقوتة من ياقوتات الجنة ، فلما كان زمن الطوفان رفع إلى السماء الدنيا ، فلو وقع الآن وقع على موضع البيت ، يطوف به كل ليلة سبعون ألف ملك ، واستودع جبريل أبا قُبَيْس [٢] الحجر ، وهو ياقوتة بيضاء من ياقوت الجنة ، فلما بنى إبراهيم البيت أتاه جبريل ، فأخرج له الحجر ، فوضعه فى قواعد البيت ؛ وهو يوم القيامة أعظم من أُحد له لسان يشهد به .

* * *

---

(١) القطن الناصع البياض .

(٢) أبا قبيس : هو اسم جبل خارج مكة المكرمة .

* ما كان يقال عند الطواف فى الجاهلية :

نا أحمد : نا يونس عن عبد الرحمن بن عبد الله المسعودى عن سعيد بن أبى بُردة الأشعرى عن عبد الله بن عمر أنه قال لأبيه أبى بردة : أتدرى ما كان قومك يقولون فى الجاهلية إذا طافوا بالبيت ؟ قال : وما كانوا يقولون ؟ قال : كانوا يقولون :

اللَّهُمَّ هَذا وَاحِدٌ إنْ تَمَّا   أَتَمَّهُ اللهُ وَقَدْ أَتَمَّا

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمَّا   وَأَىُّ عَبْدٍ لَكَ لاَ أَلَمَّا

نا أحمد نا يونس عن قَيس بن الربيع عن منصور عن مجاهد قال : كان أهل الجاهلية يقولون حين يطوفون بالبيت :

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِر جَمَّا   وَأَىُّ عَبْدٍ لك لا أَلَمَّا

نا أحمد نا يونس عن هشام بن عُروة عن أبيه قال : لم يكن أحد يطوف بالكعبة عليه ثياب إلا الحُمس [1] ، وكان بقية الناس الرجال والنساء يطوفون عراة ، إلا أن تحتسب عليهم الحمس ، فيعطون الرجل أو المرأة الثوب يلبسه .

نا أحمد : نا يونس عن أبى مَعْشر المدينى عن محمد بن قَيس قال : كان أهل الجاهلية من لم يكن من الحُمس ، فإن طابت نفسه أن يرمى بالثوب الذى عليه إلى الكعبة إذا طاف بالبيت أو وجد عارية من أهل مكة ، طاف فيه ، فإن لم تطب نفسه بالثوب الذى عليه ، ولم يجد عارية من أهل مكة طاف عريانا ، فقالوا : وجدنا آباءنا عليها ، والله أمرنا بها حتى بلغ ﴿ **خالصة يوم القيامة** ﴾ قال محمد بن قيس : هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا يشركهم فيها الكفار ، فإذا كان يوم القيامة خلص بها المؤمنون .

نا أحمد : نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : كانت قريش

---

(١) الحُمس : جمع أحمس وهو من الشدة والصلابة فى الدين وقد لقبت به قريش وكنانة وخزاعة وهم أهل الحرم ، وكانوا لا يعظمون شيئًا من الحل وتركوا الوقوف على عرفة والإفاضة منها إذ إنها من الحل أما المزدلفة فهى من الحرم .

ومن يدين دينها (١) ، وهم الحُمس ، يقضون عشية عرفة بالمزدلفة يقولون : نحن قطن (٢) البيت ، وكان بقية الناس ، والعرب يقفون بعرفات ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس** ﴾ (٣) فتقدموا فوقفوا مع الناس بعرفات .

* الرسول ﷺ يُخالف الحُمس قبل الرسالة :

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى عبد الله بن أبى بكر عن عثمان ابن أبى سليمان عن نافع بن جُبير بن مُطعِم عن أبيه جُبير بن مُطعم قال : لقد رأيت رسول الله ﷺ ، وهو على دين قومه ، وهو يقف على بعير له بعرفات ، من بين قومه حتى يدفع معهم توفيقًا من الله عز وجل له .

* ما كان يفعله المشركون فى الجاهلية :

نا أحمد : نا يونس عن زكريا بن أبى زائدة عن أبى إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عمر قال : كان المشركون بجمع (٤) يقولون : أشرق ثبير (٥) كيما نغير ، قال : فكانوا لا يفيضون من جمع حتى تطلع الشمس ، فنهانا رسول الله ﷺ عن ذاك. قال زكريا : فنفر رسول الله ﷺ قبل أن تطلع الشمس .

نا أحمد : نا يونس عن يوسف بن ميمون عن الحسن قال : كان الناس فى الجاهلية إذا أتوا المعرف (٦) قام الرجل فوق جبل فقال : أنا فلان ابن فلان ، فعلت كذا ، وفعل أبى كذا ، وفعل جدى كذا فأنزل الله عز وجل : ﴿ **فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا** ﴾ (٧) يقول : كما كنتم تذكرون آباءكم فى الجاهلية ، فقال رسول الله ﷺ حين نزلت هذه الآية : يا أيها الناس ، إن الله قد رفع عنكم هذه النخوة والتفاخر فى الآباء ، فنحن ولد آدم ، وخلق آدم من تراب ، وقال الله عز وجل : ﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى** ﴾ . إلى قوله تعالى : ﴿ **أتقاكم** ﴾ (٨) .

* أصل السعى بين الصفا والمروة وأول من سعى :

نا أحمد : نا يونس عن يوسف بن ميمون التميمى عن عطاء بن أبى رباح أن إنسانا سأله عن السعى بين الصفا والمروة فقال : إن هاجر لما وضعها إبراهيم هى وابنها

---

(١) أى من يتبعها ويوافقها وهم : كنانة وخزاعة .

(٢) بمعنى قطين : أى سكانه وأهله . (٣) سورة البقرة : ١٩٩ .

(٤) جمع : أى المزدلفة . (٥) ثبير : جبل مطل على مكة . (٦) أى : جبل عرفة .

(٧) سورة البقرة : الآية ٢٠٠ . (٨) سورة الحجرات : الآية ٦ .

إسماعيل أصابها عطش شديد حتى أُريت أن إسماعيل سيقتله العطش ، فلما خشيت ذلك منه ، وضعته فى موضع البيت ، وانطلقت حتى أتت الصفا ، فصعدت فوقه تنظر هل مات بعدُ أم لا ؟ فجعلت تدعو الله تعالى له ، ثم نزلت حتى أتت بطن الوادى فسعت فيه ثم خرجت تمشى حتى أتت المروة ، فصعدت فوقها تنظر هل مات بعد أم لا ؟ وكانا حجرين إلى البيت ، ففعلت ذلك سبع مرات ، فهذا أصل السعى بين الصفا والمروة .

نا أحمد : نا يونس عن هشام بن عُروة عن أبيه ، فى هذه الآية : ﴿ **إن الصفا والمروة من شعائر الله** ﴾ [1] الآية ، فقلت لعائشة : لو أن إنسانا حج فلم يطف بين الصفا والمروة ما ظننت أن عليه حرجًا ، قالت : فاتل على ، فتلوت عليها : ﴿ **فلا جناح عليه أن يطَّوف بهما** ﴾ فقالت : لو كان كما تقول كان : فلا جناح عليه ألا يطوف بهما ، وإنما نزلت هذه الآية فى أناس من قريش كانوا يحرمون لَمنَاة ولا يحل فى دينهم أن يطوفوا بين الصفا والمروة ، فلما أسلموا قالوا لرسول الله ﷺ « إنا كنا نحرم لمنَاة فلا يحل لنا فى ديننا أن نطوف بين الصفا والمروة » فأنزل الله عز وجل الآية : ﴿ **إن الصفا والمروة من شعائر الله** ﴾ فقالت عائشة : هما من شعائر الله ، فما أتم الله حج من لم يطف بهما .

* سبب رمى الجمار وأول من رمى :

نا أحمد : نا يونس عن يوسف بن ميمون عن عطاء بن أبى رباح أنه سئل عن رمى الجمار فقال : إن إبراهيم أتى البيت الحرام فصلى به ، ثم راح حتى أتى مِنًى فى بعض الليل فانطلق حتى أتى الشجرة فعرض [2] له الشيطان ، فرماه إبراهيم بسبعة أحجار ، يكبِّر مع كل حجر ، فذهب عنه ، ثم مضى حتى أتى مكان الجمرة التى يليها عرض له الشيطان ، فرماه بسبعة أحجار ، يكبر ، مع كل حجر فذهب عنه ، ثم مضى حتى موضع الجمرة الثالثة عرض له الشيطان ، فرماه بسبعة أحجار يكبر مع كل حجر ، فذهب عنه ، فلما بعث الله عز وجل نبيه ﷺ اقتص ما صنع إبراهيم فصنع مثله .

* * *

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٥٨ .

(٢) عَرَض له : أى ظهر له وأشرف عليه، واعترض طريقه .

* ما كان يفعله أهل الجاهلية عند الذبح :

نا أحمد : نا يونس عن أبى بكر الهذلى قال : أنا الحسن قال : كان الناس فى الجاهلية إذا ذبحوا لطخوا بالدماء وجه الكعبة ، وشرَّحوا اللحوم فوضعوها على الحجارة ، وقالوا لا يحل لنا نأكل شيئًا جعلناه لله عز وجل حتى تأكله السِّباع والطير ، فلما جاء الإسلام جاء الناس رسول الله ﷺ فقالوا له : شيئًا كنا نصنعه فى الجاهلية ألا نصنعه الآن ، فإنما هو لله عز وجل ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **فكلوا منها وأطعموا** ﴾ [(١)] فقال رسول الله ﷺ : « لا تفعلوا فإن ذلك ليس لله عز وجل » . قال الحسن : فلم يعزم عليهم الأكل ، فإن شئت فكُل وإن شئت فدع [(٢)] .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : سألت ابن أبى نَجيح عن قول رسول الله ﷺ « إن الزمان قد استدار حتى صار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض » فقال : كانت قريش يدخلون فى كل سنة شهرًا ، وإنما كانوا يوافقون ذا الحجة فى كل اثنتى عشرة سنة مرة ، فوفق الله تعالى لرسوله فى حجته التى حج ذا الحجة فحج رسول الله ﷺ فيها ، فقال رسول الله ﷺ : « إن الزمان قد استدار حتى صار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض» فقلت لابن أبى نَجيح : فكيف بحجة أبى بكر وعتَّاب بن أسيد ؟ فقال : على ما كان الناس يحجون عليه ، ثم فسر ابن أبى نَجيح فقال : كانوا يحجون فى ذى الحجة ثم العام المقبل فى المحرم ثم صفر حتى يبلغوا اثنى عشر شهرًا .

* جبريل يعلِّم الخليل إبراهيم عليهما السلام مناسك الحج :

حدثنا أحمد قال : نا يونس عن ابن أبى ليلى وابن أبى أنيسة عن عبد الله بن أبى مُليكة عن عبد الله بن عَمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال : « نزل جبريل على إبراهيم صلى الله عليهما ، فراح به فصلى به الصلوات بها » ، قال يحيى : الظهر ، والعصر ، والمغرب ، والعشاء [(٣)] . ثم اجتمعا ، فبات به حتى صلى الفجر ثم سار به يوم عرفة حتى نزل به المنزل الذى ينزل الناس[(٤)] ، فصلى به الصلاتين –

(١) سورة الحج : الآية ٣٦ . (٢) أى اتركه للفقراء والمساكين .

(٣) أى يوم التروية وهو يوم الثامن من ذى الحجة .

(٤) أى المكان المعروف وهو الموقف من عرفة دون غيره لأن غربى عرفة مكان يسمى « بطن عرنة » وهو ليس بموقف وقد نهى النبى ﷺ عن الوقوف فيه فقال : « عرفه كلها موقف وارتفعوا » – أى ابتعدوا – عن بطن عرنة والله أعلم .

« قال يحيى : جميعًا » - ثم اجتمعا ، قال : فسار حتى وقف به فى الموقف حتى كان كأعجل ما يصلى أحد من المسلمين صلاة المغرب ، ثم أفاض حتى أتى به « جمعًا » فصلى به الصلاتين [١] ، قال يحيى : المغرب والعشاء جميعًا . قال : ثم بات بها [٢] حتى إذا كان كأعجل ما يصلى أحد من المسلمين صلاة الفجر أفاض به حتى أتى به الجمرة فرماها ، ثم ذبح وحلق ثم أتى به البيت فطاف به - قال ابن أبى ليلى : ثم رجع به إلى مِنى فأقام فيها تلك الأيام ، ثم أوحى الله عز وجل إلى محمد ﷺ أن اتبع ملة إبراهيم حنيفًا .

نا أحمد نا يونس عن زكريا بن أبى زَائدة عن أبى إسحاق عن زيد بن يُثَيْع عن على قال : بعثنى رسول الله ﷺ حين نزلت « براءة » [٣] ألاَّ يطوف بالبيت عُريان .

* قريش تبتدع الحُمس :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وكانت قريش - لا أدرى قبل بناء الكعبة أو بعده - ابتدعت رأى الحمس[٤] ، رأيا رأوه وأداروه بينهم ، فقالوا : نحن بنو إبراهيم وأهل الحرم ، وولاة البيت ، وقاطنو مكة وسكانها ، فليس لأحد من العرب مثل حقنا ، ولا مثل منزلتنا ، ولا يعرف له العرب مثل ما تعرف لنا ، فلا تعظموا شيئا من الحل كما تعظمون الحرم ، فإنكم إن فعلتم ذلك استخفت العرب حرمتكم ، وقالوا : قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم ، فتركوا الوقوف على عرفة والإفاضة منها ، وهم يقرون ويعرفون أنها من المشاعر [٥] والحج ودين إبراهيم عليه السلام ، فيرون لسائر العرب أن يقفوا عليها وأن يفيضوا منها ، إلا أنهم قالوا نحن أهل الحرم فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحرمة ولا نعظمن غيرها كما يعظمها الحمس ، والحمس أهل الحرم ، ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكنى الحل والحرم مثل الذى لهم بولادتهم إياهم ، يحل لهم ما يحل لهم ، ويحرم عليهم ما يحرم عليهم ، وكانت كنانة وخزاعة قد دخلوا معهم فى ذلك ، ثم ابتدعوا فى ذلك أمورًا لم تكن فقالوا : لا ينبغى للحُمس أن يأقطوا الأَقْط [٦] ، ولا يسلوا [٧]

---

(١) أى بالمزدلفة . (٢) أى : بالمزدلفة أيضا . (٣) سورة التوبة .

(٤) والتحمس التشدد ، وكانوا قد تعالوا على غيرهم ، وكانت نساؤهم لا ينسجن الشعر ولا الوبر . (٥) أى الشعائر . (٦) الأقط : الجبن المصنوع من لبن الغنم .

(٧) سلا السمن : أى طبخ الزبد حتى يصير سمنًا .

السمن وهم حرم ، ولا يدخلوا بيتًا من شعر ولا يستظلوا إلا فى بيوت الأدم [١] ما داموا حرامًا ، ثم رفعوا فى ذلك فقالوا : لا ينبغى لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم من الحل فى الحرم إذا جاءوا حجَّاجًا أو عُمَّارًا ، ولا يطوفوا بالبيت إذا قدموا أول طوافهم إلا فى ثيـــاب الحمس ، فإن لم يجدوا شيئًا منها طافوا بالبيت عراة ، فإن تكرم منهم متكرم من رجل أو امرأة لم يجد ثوبًا من ثياب الحمس ، فطاف فى ثيابه التى جاء بها من الحل ، ألقاها إذا فرغ من طوافه ، لم ينتفع بها ، ولم يمسها ، ولا أحد غيره أبدًا ، وكانت العرب تسمى تلك الثياب اللقى ، فحملوا العرب على ذلك فدانت به ، ووقفوا على عرفات ، وأفاضوا منها ، فأطافوا بالبيت عراة ، وأخذوا بما شرعوا لهم من ذلك ، فكان أهل الحل يأتون حجاجًا وعمارًا ، فإذا دخلوا الحرم وضعوا أزوادهم التى جاءوا بها ، وابتاعوا من طعام الحرم والتمسوا ثيابًا من ثياب الحرم إما عارية وإما بإجارة ، فطافوا فيها فإن لم يجدوا طافوا عراة ، أما الرجال فيطوفون عراة ، وأما النساء فتضع إحداهن ثيابها كلها إلا درعًا تطرحه عليها ، ثم تطوف فيه ، فقالت امرأة من العرب وهى كذلك تطوف :

اليومَ يَبدو بَعْضُه أَو كُلُّهُ   وَما بَدا مِنْهُ فَلا أُحلُّهُ

ومن طاف منهم فى ثيابه التى جاء فيها ألقاها فلم ينتفع بها هو ولا غيره ، فقال قائل من العرب يذكر شيئًا تركه لا يقربه وهو يحبه :

كَفى حُزْنًا كرِّى عليه كأنَّه   لَقىٌ بَيْنَ أَيْدِى الطَّائفين حَرِيمُ [٢]

يقول : لا تُمَسٌّ . فكانوا كذلك حتى بعث الله عز وجل نبيه ﷺ [٣] .

* * *

(١) بيوت الأدم : الخيم والأخبية المصنوعة من الجلد .

(٢) الشىء الحريم : المحرم وهو الشىء الذى لا يؤخذ ولا ينتفع به .

(٣) وشرع له سنن حجه وأمر قريش والناس جميعًا بالوقوف بعرفات والإفاضة منها فقال تعالى : ﴿ **ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم** ﴾ .

حديث بنيان الكعبة

* سبب بنيان قريش الكعبة :

حدثنا أحمد بن عبد الجبار : نايونس بن بُكير عن ابن إسحاق قال : فأقامت قريش فى كل قبيلة منها أشراف ، فليس بينها اختلاف ولا نائرة . ثم إن قريشًا أجمعوا على بنيان الكعبة (١) ، وكانوا يهمون بذلك فيهابون هدمها ، وإنما كانت رضمًا فوق القامة (٢) ، فأرادوا رفعها وتسقيفها وذلك أن نفرًا من قريش سرقوا كنز الكعبة ، وكان يكون فى بئر جوف الكعبة . وكان الذى وجد عنده الكنز دُوَيل - أو دُوَيد ، شك أبو عمر ، مولى لبنى مُليح بن عمرو من خزاعة ، فقطعت قريش يده من بينهم ، وكان ممن اتهم فى ذلك الحارث بن عامر بن نوفل ، وكان أخا الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف لأمه أبو وهب بن عبد المطلب ، فهو الذى تزعم قريش أنهم وضعوا كنز الكعبة حين أخذوه عند دويل - أو دويد - فلما أتتهم قريش دلوهم على دويل - أو دويد (٣) - فقطعوه ، ويقال : إنهم وضعوه عنده ، وذكروا أن قريشًا حين استيقنوا بأن ذلك كان عند الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ،

---

(١) وكان بناؤها فى الدهر كله خمس مرات ، الأولى : حين بناها شيث بن آدم ، الثانية : حين بناها إبراهيم عليه السلام على القواعد الأولى ، والثالثة : حين بنتها قريش قبل الإسلام بخمسة أعوام ، الرابعة حين احترقت فى عهد ابن الزبير بشرارة طارت من جبل أبى قبيس ، وقيل إن امرأة أرادت أن تجمرها فطارت شرارة من المجمر فى أستارها فاحترقت ، فهدمها عبد الملك بن مروان وبناها على ما كانت عليه فى عهد رسول الله ﷺ . أما المسجد الحرام فأول من بناه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك أن الناس ضيقوا على الكعبة ، وألصقوا دورهم بها ، فقال عمر : إن الكعبة بيت الله ، ولا بد للبيت من فناء ، فاشترى تلك الدور من أهلها وهدمها ، وبنى المسجد المحيط بها ، ثم لما جاء عثمان رضي الله عنه . اشترى دورًا أخرى وأغلى ثمنها ، وزاد فى سعة المسجد ، فلما جاء ابن الزبير زاد فى إتقانه لا فى سعته ، وجعل فيه عمدًا من الرخام وزاد فى أبوابه وحسنها ، فلما جاء عبد الملك بن مروان زاد فى ارتفاع حائط المسجد وحمل إليه السوارى فى البحر إلى جدة .

(٢) الرضم : هى الصخور العظيمة التى يتراكم بعضها فوق بعض .

(٣) فى سيرة ابن هشام : دُويل .

فخرجوا به إلى كاهنة من كهان العرب ، فسجعت عليه من كهانتها بأن لا يدخل مكة عشر سنين بما استحل من حرمة الكعبة ، فزعموا أنهم أخرجوه من مكة ، فكان فيما حولها عشر سنين .

وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جِدة لرجل من الروم فتحطمت ، فأخذوا خشبها فأعدوه لسقفها ، وكان بمكة رجل قِبطى نجار [(١)] ، فتهيأ لهم فى أنفسهم فى بعض ما يصلحها . وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التى كان يطرح فيها مما يهدى لها كل يوم ، فتشرق [(٢)] على جدار الكعبة ، وكانت مما يهابون ، وذلك أنهم زعموا قلما كان يقترب من بئر الكعبة أحد إلا احْزَأَلّتْ [(٣)] وكشت [(٤)] ، وفتحت فاها فكانوا يهابونها ، فبينما هى يومًا تشرق على جدار الكعبة كما كانت تصنع ، بعث الله عز وجل عليها طائرًا لا يدرون ما هو فاختطفها من متشرقها ، فذهب بها ، فقالت قريش : إنا نرجو أن يكون الله عز وجل قد رضى ما أردنا ، عندنا عامل رفيق وعندنا الخشب ، وقد ذهب الله تعالى بالحية ، وذلك بعد الفجار بخمس عشرة سنة ، ورسول الله ﷺ إذ ذاك ابن خمس وثلاثين سنة .

* أبو وهب وما حدث له عند بناء الكعبة :

فلما أجمعوا أمرهم على هدمها وبنائها قام أبو وهب عامر بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم فتناول من الكعبة حجرًا ، فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه – فيما يزعمون – فقال : يا معشر قريش لا تدخلن فى بنيانها من كسبكم إلا طيبا ولا تدخلن فيها مهر بغى ، ولا بيع ربا ، ولا مظلمة من أحد من الناس ، وينحلون هذا الكلام الوليد بن المغيرة .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدَّثنى عبد الله بن أبى نَجيح أنه حدَّث عن عبد الله بن صفوان بن أُمية أنه رأى ابنا لجَعْدة بن هُبيرة بن أبى وهب بن عمرو بن عَائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم يطوف بالبيت فسأل عنه ، فقيل هذا ابن

---

(١) ذكر أنه كان علجًا فى السفينة التى حجتها الريح إلى الشعيبة ، وأن اسم ذلك النجار : ياقوم ، وكذلك روى أيضًا فى اسم النجار الذى عمل منبر رسول الله ﷺ من طرفاء الغابة ، ولعله أن يكون هذا ، فالله أعلم .

(٢) أى تبرز وتظهر للشمس . (٣) احزألت : أى ارتفعت .

(٤) كشت : أى صوتت بسبب احتكاك الجلد بعضه ببعض .

جعْدة بن هبيرة بن أبى وهب ، فقال عبد الله بن صفوان : إن جده يعنى أبا وهب هو الذى أخذ من الكعبة حجرًا حين أرادت قريش هدمها فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه ، فقال عند ذلك : يا معشر قريش لا تدخلوا فيها من كسبكم إلا طيبًا ، لا تدخلوا مهر بغى ، ولا بيع ربا ، ولا مظلمة لأحد من الناس ، وأبو وهب خال رسول الله ﷺ [(١)] ، وكان شريفًا ، وله يقول شاعر من العرب :

لَو بأبى وَهْب أَنَخْتُ مَطِيَّتى ... لَرُحْتُ وَرَاحَتْ رَحْلُها غَير خَائِبِ

وأَبيَض من فَرْعَى لُؤَىٍّ بن غَالب ... إذا حُصِّلت أَنْسَابه للذَّوَائبِ

أَبِىٌّ لأَخذِ الضيم يَرتاح للنَّدَى ... تَوسَّط جَدَّاه فُروع الأَطايبِ

عَظِيم رَماد القَدْرِ يَملا جفَانَهُ ... من الخُبزِ يَعْلُوهن مثل السَبائبِ

* نصيب قبائل قريش فى تجزئة الكعبة :

حدثنا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم تجزأت قريش الكعبة ، فكان شق الباب لبنى عبد مناف ، وبنى زُهرة ، وكان مما بين الركنين الأسود والركن اليمانى لبنى مخزوم وتيم وقبائل من قريش ضموا إليهم ، وكان ظاهرها لسهم وجمح ، وكان شق الحجر ، وهو الحطيم ، لبنى عبد الدار بن قُصى ، ولبنى أسد بن عبد العزى بن قُصى ، وبنى عَدى بن كَعب .

* الوليد بن المغيرة يبدأ بهدم الكعبة

ثم إن الناس هابوا هدمها وفرقوا منه ، فقال الوليد بن المغيرة : أنا أبوؤكم فى هدمها ، فأخذ المِعْول ، فقام عليها ، ثم قال : اللهم لا تردع [(٢)] ، اللهم إنا لا نريد إلا الخير ، ثم هدم من ناحية الركنين فتربص الناس تلك الليلة وقالوا : ننظر ماذا يصيبه ، فإن أصيب لم نهدم منها شيئًا ورددناها كما كانت ، وإن لم يصبه شىء فقد رضى الله عز وجل ما صنعنا ، فأصبح غاديًا يهدم وهدم الناس معه فلما انتهى الهدم إلى أس الكعبة(٣) اتبعوه حتى انتهوا إلى حجارة خضر كالأسنمة آخذ بعضها بعضًا .

---

(١) وقيل : هو خال أبى رسول الله ﷺ والله أعلم .

(٢) جاء فى سيرة ابن هشام « لم تُرَع » وهى تقتضى إظهار قصد البر ، وليس تسكين الرَّوع .

(٣) أى أساسها .

* سبب امتناع قريش عن هدم الأساس :

حدثنا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حُدثت أن رجالاً من قريش ممن كان يهدمها قالوا أدخل رجل بين حجرين منها العثلة [١] ليقلع إحداهما ، فلما تحرك الحجر تنفضت مكة بأسرها ، فهابوا عند ذلك تحريك ذلك الأس .

* الكتاب الذى وجد فى الركن :

حدثنا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنا يحيى بن عَبَّاد بن عبد الله ابن الزبير عن أبيه عباد قال : حُدثت أنهم وجدوا فى أس الكعبة أو فى بعضها شيئًا من صُفر مثل بيض النعام مكتوبٌ فى إحداهما : هذا بيت الله عز وجل الحرام رزق أهله من كذا ، لا يحله أول من أهله ، وفى الأخرى : براءة لبنى فلان حى من العرب ، من حجة لله حجوها .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وحدِّثت أن قريشًا وجدت فى الركن أو فى بعض المقام كتابًا بالسِّريانية لم يدوروا ما هو حتى قرأه عليهم رجل من يهـود : « أنا الله ذو بكة خلقتها يوم خلقت السموات والأرض وصنعت الشمس والقمر ، وحففتها بسبعة أملاك حنفاء لا يزولون حتى تزول أخاشبها [٢] ، مبارك لأهلها فى الماء واللبن » [٣] .

* * *

---

(١) جاء فى سيرة ابن هشام « العتلة » وهى الصواب .

(٢) جاء فى سيرة ابن هشام : « أخشباها » أى جبلاها .

(٣) ذكر ابن هشام عن ابن إسحاق قال : بلغنى أن قريشا حين بنوا الكعبة وجدوا فيها حجرًا فيه ثلاثة صفوح الصفح الأول : أنا الله ذو بكة صُغتها يوم صغت الشمس والقمر ، وفى الصفح الثانى : أنا الله ذو بكة خلقت الرحم ، واشتققت لها اسما من اسمى ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها بتته ، وفى الصفح الثالث : أنا الله ذو بكة ، خلقت الخير والشر ، فطوبى لمن كان الخير على يديه ، وويل لمن كان الشر على يديه .

* الكتاب الذى وُجد فى المقام :

وحُدثت أنهم وجدوا فى المقام كتابًا فيه : « مكة الحرام يأتيها رزقها من ثلاثة سبل ، لا يحلها أولُ من أهلها » (١) .

نا أحمد : نا يونس عن زكريا بن أبى زائدة عن عامر الشعبى قال : حدثنى من قرأ فى أسفل المقام أو فى تختجة (٢) فى سقف البيت : أنا الله ذو بكة ، بنيته على وجوه سبعة أملاك حنفاء ، باركت لأهله فى اللحم ، والماء ، وجعلت رزقهم من ثلاثة سبل ، ولا يستحل حرمتها أول من أهلها .

نا أحمد : نا يونس عن المنذر بن ثَعْلبة عن سعيد بن حرب قال : شهدت عبد الله بن الزبير وهو يقلع القواعد التى أسس إبراهيم ﷺ لبناء البيت فأتوا على تربة صفراء عند الحطيم ، فقال ابن الزبير : هذا قبر إسماعيل عليه السلام فواراه(٣) .

* الاختلاف بين قريش فى وضع الحجر :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم جمعت القبائل من قريش لبنائها كل قبيل تجمع على جدتها (٤) ثم بنو حتى بلغ البناء موضع الركن فاختصموا فى رفع الركن ، كل قبيلة تريد أن ترفعه دون الأخرى ، فقالت كل قبيلة نحن نرفعه حتى تحاربوا (٥) أو تحالفوا ، وأعدُّوا القتال .

* لعقة الدم :

فقربت بنو عبد الدار جفنة فملؤوها دمًا ثم تحالفوا هم وبنو عدى بن كعب على الموت فأدخلوا أيديهم فى تلك الجفنة فغمسوها فى الدم ، فقال فى ذلك عِكْرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار :

---

(١) لا يحلها أول من أهلها : أى ، والله أعلم ، ما كان من استحلال قريش فيها القتال أيام ابن الزبير ، وحصين بن نمير ، ثم الحجاج بن يوسف الثقفى .

(٢) أى فتحة قريبة من السقف تكون فى الحائط وتسمى « طاقة » .

(٣) ذكر ابن هشام أن ابن إسحاق قال : وزعم ليث بن أبى سُليم أنهم وجدوا حجرًا فى الكعبة قبل مبعث النبى - ﷺ بأربعين سنة - إن كان ما ذكر حقًّا - مكتوبا فيه : « من يزرع خيرًا يحصد غبطة ، ومن زرع ضرًّا يحصد ندامة ، تعملون السيئات ، وتجزون الحسنات ؟ أجل كما لا يجتنى من الشوك العنب .

(٤) عند ابن هشام : « على حِدة » وهذا أليق وأوضح .

(٥) عند ابن هشام : « تحاوروا » .

وَاللهِ لا نَأتي الذى قَدْ أَردتُم ... وَنَحن جَميعٌ أَو نُخضَّب بِالدَّمِ
وَنَحْن وُلاَة البيتِ لاَ تُنْكِرُونَهُ ... فكَيْفَ عَلى عِلْم البَرية نُظْلَم
لِنَبْغى به الحَمد الذى هُو نَافِعٌ ... وَنَخْشَى عِقَاب اللهِ فى كُلِّ محرَمِ
فَكَيْفَ تَرومونَا وعز قَنَاتنا ... لَه مكسر صُلب على كُل مَعْلمِ
فَهيهاتَ أنَّى يقربُ الركنَ سَالمٌ ... وَنحن جَميعٌ عِندهُ حين يُقْسَمِ
فَإِمَّا تخلونَا وَبيتَ حِجَابنا ... وَإما تنَوؤا ذلك الركْن بالحرم

فأجابه وهب بن عبد مناف :

أَبْلِغ قُرَيشًا إذا مَا جئتُ أَكْرِمُهَا ... أَنَّا أَبينَا فَلا نُؤْتيكُمُ غَلَبَا
إنَا أبينا إلى الغَضْب ظَاهرةً ... إِنَّا وَجدك لاَ نُؤْتيكُم سَلَبا
نَحنُ الكِرَام فَلا حَيٌّ يُقَارِبُنا ... نَحنُ الملوكَ وَنَحْنُ الأكرَمُونَ أَبا
وَقد أَرى مُحدثًا فى حِلْفنا طُهرًا ... كَما تَرى فى حِجَاب الملك مُحْتجبا
أَبَى لَنا عِزنا مَاذا أَراد بِنَا ... قَوْمٌ أَرادوا بِنَا فى حِلْفهم عجبا
قَومٌ أَرادوا بنا خَسْفًا لنقبله ... كَلاَّ وربِّكَ لا نُؤْتيهم غَضَبا

* أبو أمية بن المغيرة يحل مشكلة وضع الحجر :

حدثنا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فمكثت قريش أربع ليال ، أو خمسًا ، بعضهم من بعض ، ثم إنهم اجتمعوا فى المسجد فتشاوروا ، وتناصفوا ، فزعم بعض أهل العلم والرواية أن أبَا أمية ، وكان كبيرًا ، وسيد قريش كلها ، قال : يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل عليكم من باب المسجد.

* الرسول ﷺ يضع الحجر وينهى الإشكال :

فلما توافقوا على ذلك ، ورضوا به ، دخل رسول الله ﷺ ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين قد رضينا بما قضى بيننا ، فلما انتهى إليهم أخبروه الخبر ، فقال : هلموا ثوبًا ، فأتوه به ، فوضع رسول الله ﷺ الركن فيه بيديه ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ، ثم ارفعوا جميعًا ، فرفعوه حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه

رسول الله ﷺ بيده ، ثم بنى عليه [١] ، فكان رسول الله ﷺ يسمى فى الجاهلية الأمين قبل أن يوحى إليه .

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : كنت جالسًا مع أبى جعفر محمد بن على [٢] فمر بنا عبد الرحمن الأعْرج ، مولى ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، فدعاه فجاءه فقال : يا أعرج ما هذا الذى تحدث به أن عبد المطلب هو الذى وضع حجر الركن فى موضعه ؟ فقال : أصلحك الله حدَّثنى من سمع عمر بن عبد العزيز يحدِّث أنه حُدث عن حَسَّان بن ثابت يقول : حضرت بنيان الكعبة ، فكأنى أنظر إلى عبد المطلب جالسًا على السور شيخ كبير قد عصب له حاجباه حتى رفع إليه الركن ، فكان هو الذى وضعه بيديه ، فقال : انفذ راشدًا ، ثم أقبل علىَّ أبو جعفر فقال : إن هذا الشىء ما سمعنا به قط ، وما وضعه إلا رسول الله ﷺ بيده ، اختلفت فيه قريش فقالوا : أول من يدخل عليكم من باب المسجد فهو بينكم ، فدخل رسول الله ﷺ ، فقالوا : هذا الأمـــين ، فحكموه ، فأمر بثوب فبسط ، ثم أخذ الركن بيديه ، فوضعه على الثوب ، ثم قال : لتأخذ كل قبيلة من الثوب بناحية ، وارفعوا جميعًا ، فرفعوا جميعًا ، حتى إذا انتهوا به إلى موضعه أخذه رسول ﷺ فوضعه فى موضعه بيده ثم بنى عليه .

* سن الرسول ﷺ عند بناء الكعبة

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ورسول الله ﷺ يومئذ ابن خمس وثلاثين سنة ، ونزل عليه الوحى بعد بناء الكعبة بخمـس سنين ، وهو ابن أربعين سنة ، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة ثم هاجر إلى المدينة [٣] .

(١) ورد أن إبليس اللعين كان معهم فى صورة شيخ نجدى فصاح بأعلى صوته : يا معشر قريش : أرضيتم أن يضع هذا الركن – وهو شرفكم – غلام يتيم دون ذوى أسنانكم ؟! فكاد يثير شرا فيما بينهم ، ثم سكنوا ذلك ، وأخمد الله كيد إبليس . انظر السيرة النبوية لابن هشام ط . الكليات الأزهرية تحقيق طه عبد الرءوف سعد .

(٢) هو محمد بن على بن الحسين ابن الإمام على كرم الله وجهه .

(٣) أما عن ارتفاع الكعبة وكسوتها ، فكانت على عهد رسول الله ﷺ ثمانى عشرة ذراعًا ، وكانت تكسى القباطى (وهى ثياب بيض مصرية) ، ثم كسيت البرود (وهى ثياب يمنية فيه لمع وسواد وبياض) وأول من كساها الديباج : الحجاج بن يوسف الثقفى .

*** شعر الزبير بن عبد المطلب فى الحية التى كانت تمنع قريشا من بنيان الكعبة :**

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم سقفت فكان ذلك أول ما سقفت الكعبة ، فلما فرغوا من البنيان وبنوها على ما أرادوا قال الزبير بن عبد المطلب فيما كان من أمر الحية التى كانت قريش تهاب بنيان الكعبة لها ، فقال :

عَجِبْتُ لِمَا تَصَوَّبَت العقَابُ ... إلى الثُّعْبَان وَهى لها اضْطِرابُ
وَقَدْ كَانت يكونُ لها كَشِيشٌ ... وَأَحيانًا يكون لَهَا وِثَابُ
إِذَا قُمْنَا إِلَى البُنْيان شَدَّتْ ... تَهيبنا البنَاءُ وَقَدْ تهَابُ
فَلما أنْ خَشينا الرجزَ جاءت ... عقَابٌ قَد يَظِل لها الضبَابُ
فَضمتها إليها ثم خَلَّت ... لَنَا البُنْيَانَ لَيس له حِجَابُ
فَقُمْنَا حَاشدين على بِنَاء ... لَنا منه القَوَاعد والترابُ
غَدَاةَ نَرْفَعُ التأسيسَ منْهُ ... وَليس عَلى مَسَاوينا ثِيَابُ
أَعزَّ به المليكُ بَنِى لُؤَىٌّ ... فَليسَ لأَصْله منهم ذهَابُ
وَقَدْ حَشدَتْ هُنَاك بَنو عَدىٌّ ... وَمُرَّة قَدْ تَقَدَّمها كِلاَبُ
فَبَوَّأنا المَلِيكُ بِذَاك عِزًّا ... وعِندَ اللهِ يُلتمس الثوابُ

وقال الزبير بن عبد المطلب فى ذلك أيضًا :

لَقَدْ كَان فى أَمْرِ العقَابِ عَجِيبَةٌ ... وَمَخْطَفُها الثُّعْبَانُ حينَ تَدلَّت
فكان مَدى الأَبْصَارِ آخر عَهْدنَا ... بها بَعدما بَاتَتْ هُنَاكَ وَطلَّت
إِذا جَاء قَومٌ يَرفَعون عمَادَهُ ... مَن البيتِ شَدَّتْ نَحْوهمُ واحزألَّت
فَما بَرِحَتْ حَتَّى ظَنَنا جَمَاعَة ... بَأن علينا لَعْنَة الله حَلَّت
فَقُلنا جَميعًا قد عَلمنا خَطية ... فَعسى لَنا والحُلْمُ مِنا أَضَلَّت

وقال الوليد بن المغيرة فى بنيان الكعبة وشأن الحية :

لَقد كَان فى الثُّعْبَانِ يَا قومُ عبْرة ... وَرَأى لِمنَ رَام الأُمُورَ عَلَى ذُعْرِ
غَدَاةَ هوَى النِّسْرُ المحلقُ يَرْتَمى ... بِه غَير حَمْد منْكُمْ يَا بَنى فهر
عَلى حِينِ مَا ضَلَّتْ حلوم سرِاتِكم ... وَخِفتُم بأن لا ترفعوا آخر الدهرِ

* إبطال مبتدعات الحُمس فى الحج :

حدثنا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وأنزل الله عز وجل على نبيه محمد ﷺ حين أحكم أمره ، وشرع له سنن حجه : ﴿ **ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله** ﴾ (١) . الآية . يعنى قريشًا والناس العرب فى سنة الحج إلى عرفات والوقوف عليها ، والإفاضة منها ، وأنزل الله تعالى فيما كانوا حرموا على الناس من طعامهم ولباسهم عند البيت حين طافوا عراة وحرموا ما جاءوا به من الطعام من الحل : ﴿ **يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين * قل من حرَّم زينة الله** ﴾ (٢) إلى آخر الآية . فوضع الله تعالى أمر الحمس وما كانت قريش ابتدعت من ذلك على الناس فى الإسلام حين بعث الله عز وجل رسوله محمدًا ﷺ .

* الرسول ﷺ يخالف الحُمس قبل الرسالة :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى عبد الله بن بكر عن عثمان ابن أبى سليمان عن نافع بن جُبير بن مُطْعِم عن أبيه جبير بن مطعم أنه قال : لقد رأيت رسول الله ﷺ يقف على بعير له بعرفات من بين قومه حتى يدفع معهم توفيقًا من الله عز وجل له (٣) .

* الكهان يتحدثون عن بعثة الرسول ﷺ :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق ، قال وكانت الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى ، والكهان من العرب قد تحدثوا بأمر رسول الله ﷺ قبل مبعثه لما تقارب من زمانه . أما الأحبار من يهود ، والرهبان من النصارى فيما وجدوا من صفته فى كتبهم وصفة زمانه لما كان فى عهد أنبيائهم إليهم فيه ، وأما الكهان من العرب فتأتيهم به الشياطين من الجن فيما يسترقون من السمع إذ كانت وهى لا تحجب عن ذلك بالقذف بالنجوم ، وكان الكاهن والكاهنة من العرب لا يقع منهما ذكر بعض أمره لا تلقى العرب فيه بالا حتى بعثه الله عز وجل ، ووقعت تلك الأمور التى كانوا يذكرون ، فعرفوها .

---

(١) سورة البقرة : ١٩٩ .   (٢) سورة الأعراف : الآيتان : ٣١ - ٣٢ .

(٣) للعلم جاء هذا الحديث بهذا السند سابقًا فى الفصل السابق وقد وضعت له هذا العنوان أيضًا وقد أثبتناه كما وجدناه .

* قذف الجن بالشهب دليل مبعثه :

فلما تقارب أمر رســول الله ﷺ ، وحضر مبعثه حجبت الشياطين عن السمع ، وحيل بينها وبين المقاعد التى كانت تقعد لاستراق السمع فيها فرُموا بالنجوم ، فعرفت الجن أن ذلك لأمر حدث من الله عز وجل فى العباد [١] يقول الله تعالى لنبيه عليه السلام حين بعثه ، وهو يقص عليه خبر الجن إذ حجبوا عن السمع ، فعرفوا ما عرفوا وما أنكروا من ذلك حــين رأوا ما رأوا : ﴿ **قل أُوحى إلىّ أنه استمع** ﴾ إلى قوله : ﴿ **أم أراد بهم ربهم رشدًا** ﴾ [٢] .

فلما سمعت الجن القول [٣] عرفت إنما منعت من السمع قبل ذلك له لئلا يشاكل الوحى شىء من خبر السماء ، فيلتبس على أهل الأرض ما جاءهــم من الله عز وجل وقطع الشبه [٤] ، فآمنوا وصدقوا : ﴿ **ولوا إلى قومهم منذرين * قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا** ﴾ إلى آخر الآية .

وكان قول الجن : ﴿ **إنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقًا** ﴾ إنه كان رجال من العرب ، من قريش وغيرهم ، إذا سافر الرجل فنزل ببطن واد من الأرض ليبيت به قال إنى أعوذ بعزيز هذا الوادى من الجن الليلة ، من شر ما فيه .

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى بعض أهل العلم أن امرأة من

---

(١) روى فى مأثور الأخبار أن إبليس كان يخترق السماوات قبل عيسى ، فلما بعث عيسى أو وُلد ، حُجب - إبليس اللعين - عن ثلاث سماوات ، فلما ولد محمد ﷺ حُجب عنها كلها ، وقذفت الشياطين بالنجوم ، انظر سيرة ابن هشام تحقيق طه عبد الرءوف سعد ط . مكتبة الكليات الأزهرية . (٢) سورة الجن : الآيات ١ - ١٠ .

(٣) أى : القرآن ، فهو قول الله تعالى .

(٤) الذى يظهر من كلامه أن القذف بالنجوم وجد بظهور الإســلام ، لكنه قد كان قديمًا ، وذلك موجود فى أشعار القدماء من الجاهليين مثل : أوس بن حجر ، بشــر بن أبى خازم ، وقد وصفوا الرمى بالنجوم ، وذكر عبد الرزاق فى تفسيره عن معمر عن ابن شهاب أنه سئل عن هذا الرمى بالنجوم : أكان فى الجاهلية قال نعم : ولكنه إذ جاء الإسلام غلظ وشدد وفى قوله تعالى ﴿ **ملئت حرسًا شديدًا وشهبًا** ﴾ ولم يقل : حُرست دليل على أنه ، قد كان منه شىء ، فلما بعث النبى ﷺ ملئت حرسا شديدًا وشهبا ،لينحسم أمر الشياطين وتخليطهم ، وتكون الآية أبين انـظر السيرة النبوية لابن هشام تحقيق طه عبد الرءوف سعد ط. الكليات الأزهرية.

بنى سَهم يقال لها العَيْطَالجة كانت كاهنة فى الجاهلية جاءها صاحبها ليلة من الليالى فانقض تحتها فقال : إذن من أذن يوم عقر ونحر ، فقالت قريش حين بلغها ذلك : ما يريد ؟ ثم جاءها ليلة أخرى ، فانقض تحتها فقال : شعوب ما لشعوب تصرَّع فيه كعب لجنوب ، فلما بلغ ذلك قريشًا قالوا : ماذا يريد ؟ إن هذا لأمر هو كائن ، فانظروا ما هو ، فما عرفوا حتى كانت واقعة بدر وأُحد بالشعب ، فعرفوا أنه كان الذى جاء به إلى صاحبته .

نا أحمد : نا الحسن عن جرير بن عبد الحميد عن منصور عن إبراهيم فى قوله تعالى : ﴿ **وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقًا** ﴾ قال: كانوا إذا نزلوا واديًا قالوا : إنا نعوذ بسيد هذا الوادى من شر ما فيه قال : فيقول الجنيون تتعوذون بنا نحن لا نملك لأنفسنا ضرًّا ولا نفعًا ! قال : ﴿ **فزادوهم رهقًا** ﴾ قال : فازدادوا عليهم جرأة .

حدثنا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وكان هذا الحى من الأنصار يتحدثون مما كانوا يسمعون من يهود من ذكر رسول الله ﷺ ، أن أول ذكر وقع بالمدينة ، قبل مبعث رسول الله ﷺ ، أن فاطمة أم النعمان بن عمرو ، أخى بنى النجار – وكانت من بغايا الجاهلية – وكان لها تابع ، فكانت تحدث أنه كان إذا جاءها اقتحم البيت الذى هى فيه ، اقتحاما على من فيه حتى جاءها يومًا ، فوقع على الجدار ولم يصنع كما كان يصنع ، فقالت له : ما لك اليوم ؟ قال : بعث نبى بتحريم الزنا .

* ثقيف أول من فزعت برمى الجن :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى يعقوب بن عقبة بن المغيرة ابن الأخنس عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة بن مَسعود أنه حدثه : أن رجلاً من ثقيف يقال له عمرو بن أمية ، وكان من أدهى العرب ، وكان يضن برأيه على الناس ؛ قال يعقوب : فلما رُمِى بالنجوم ، كان أول حى فزع لها من الناس ثقيف فجاءوا إلى عمرو بن أمية فقالوا له : هل علمت بهذا الحدث الذى كان ؟ فقال : وما هو ؟ فقالوا : لجوم السماء يرمى بها ، قال : ويحكم انظروا فإن كانت هى المعالم التى يهتدى بها فى البر والبحر ، وتعرف بها الأنواء من الشتاء والصيف لصلاح

معايش الناس ، فهو والله فناء الدنيا ، وفناء هذا الخلق ، وإن كان غيرها ، فهو لأمر حدث أراد الله عز وجل به هذا الخلق ، فانظروا ما هو [١] ؟ .

*** الرسول ﷺ يصحح اعتقادهم فى رجم الجن بالشهب ويوضحه لهم :**

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى الزهرى عن على بن حسين عن ابن عباس قال : حدثنى رَهْطٌ من الأنصار قالوا : بينا نحن جلوس مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ، إذ رأى كوكبًا ، فقال ما تقولون فى هذا الكوكب الذى رمى به ؟ فقلنا : يولد مولود ، يهلك هالك ، يملك ملك ، فقال رسول الله ﷺ : ليس كذلك ، ولكن الله عز وجل إذا قضى أمرًا فى السماء سبَّح بذلك حملة العرش فيسبح لتسبيحهم من يليهم ممن تحتهم من الملائكة ، فما يزالون كذلك حتى ينتهى التسبيح إلى السماء الدنيا فيقول أهل السماء الدنيا لمن يليهم من الملائكة مم سبحتم ؟ فيقـــولون : ما ندرى ، سمعنا من فوقنا من الملائكة سبح فسبحنا الله عز وجل لتسبيحهم ، ولكنا نسل ، فيسألون من فوقهم ، فما يزالون كذلك حتى ينتهى إلى حملة العرش ، فيقولون : قضى الله عز وجل كذا وكذا ، فيخبرون به من يليهم حتى ينتهوا إلى أهل السماء الدنيا فيسترق الجن ما يقولون ، فينزلون به إلى أوليائهم من الإنس فيلقونه على ألسنتهم ، بتوهم منهم فيخبرون الناس ، فيكون بعضه حقًّا ، وبعضه كذبا ، فلم يزل الجن كذلك حتى رموا بهذه الشهب .

نا أحمد : نا يونس عن يونس بن عمرو عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : إن الشياطين كانوا يصعدون إلى السماء ، فيستمعون الكلمة من الوحى ، فيهبطون بها الأرض ، فيزيدون معها تسعًا ، فيجد أهل الأرض تلك الكلمة حقًّا والتسع باطلا ، فلم يزالوا بذلك حتى بعث الله عز وجل محمداً ﷺ ، فمُنعوا تلك المقاعد ، فذكروا ذلك لإبليس ، فقال : حدث فى الأرض حدث ، فبعثهم ، فوجدوا رسول الله ﷺ يتلو القرآن بين جبلى نخل ، فقالوا : هذا والله الحدث وإنهم ليرمون فإذا توارى النجم عنكم فقد أدركه لا يخطىء أبدًا ، ولكنه لا يقتله ، يحرق وجهه وجنبه ويده .

---

(١) وقد فعل ما فعلت ثقيف بنو لِهْب عند فزعهم للرمى بالنجوم ، فاجتمعوا إلى كاهن لهم يقال له : خطر ، فبين لهم الخبر ، وما حدث من أمر النبوة .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وقد كانت خديجة بنت خويلد قد ذكرت لورقة بن نوفل بن أسد ، وكان ابن عمها ، وكان نصرانيا قد تبع الكتب وعلم من علم الناس ما ذكر لها غلامها مَيْسَرة من قول الراهب ، وما كان يرى منه ، إذ كان الملكان يظلانه ، فقال ورقة : لئن كان هذا حقًّا يا خديجة ، إن محمدًا لنبى هذه الأمة ، قد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبى يُنتظر ، هذا زمانه - أو كما قال .

فجعل ورقة يستبطىء الأمر ويقول : حتى متى ، فكان فيما يذكرون يقول أشعارًا يستبطىء فيها خبر خديجة ، ويتريث ما ذكرت له ، فقال ورقة بن نوفل :

أتبْكِر أَمْ أَنتَ العشـــيَّة رَائِحُ ... وَفِى الصَّدْرِ من إِضْمارك الحزن قَادِحُ

لفُرقَة قــــومٍ لا أُحبُّ فِرَاقهم ... كَأنك عَنْهم بَعْدَ يَومـــينَ نَازِحُ

وَأخبار صِدْق خُبِّرت عن مُحمد ... يُخبرها عـــنه إذا غَابَ نَاصِحُ

فَتاكِ الذى وَجهت يا خَير حُرَّة ... بِغُورى والنجـــدين حَيث الصَحَاصِحُ

إلى سوق بُصرى فى الركاب التى غَدتْ ... وَهُن من الأحمال قُعْص دَوالِحُ

فَخبَّرنا عن كـــل خَبر بعلْمه ... وللحقُّ أَبــــوابٌ لَهنَّ مَفَاتِحُ

بَأنَّ ابن عَبْدَ اللهِ أَحْمَد مُرْسَلٌ ... إلى كل مـــن ضُمَّت عليه الأَباطِحُ

وَظَنِّى به أَنْ سَوف يُبعثُ صَادقًا ... كَما أُرســل العَبْدان هُودٌ وصَالِحُ

وَموسى وإبراهيم حتـــى يرى له ... بهاءٌ ومَنشـــور من الذكر وَاضِحُ

وَمتبعه حيا لُؤى جَمـــاعة ... شَبَابهم والأشيـــبون الجحَاجِحُ

فَإن أبق حتى يدرك النـــاس دهره ... فإنى به مستـــبشر الود فارِحُ

وإلاَّ فإنى يا خَديجة فَاعلـــمى ... عن أرضك فى الأرض العريضة سَائِحُ

حدثنا أحمد : نا يونس عن محمد بن إسحاق قال : وكانت قريش حين رفعوا بنيان الكعبة وسقوفها يترافدون على كسوتها كل عام ، تعظيمًا لحقها ، وكانوا يطوفون بها ، ويستغفرون الله عندها ، ويذكرونه مع تعظيم الأوثان والشرك فى ذبائحهم ودينهم كله ، وقد كان نفر من قريش : زَيد بن عَمرو بن نُفيل ، وورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ، وعثمان بن الحارث بن أسد بن عبد العزى وعبد الله بن جحش ابن رئاب ، وكانت أمه أُميمة بنت عبد المطلب بن هاشم حَليف بنى أمية ، حضروا قريشًا عند وثن لهم كانوا يذبحون عنده لعيد من أعيادهم ، فلما اجتمعوا خلا بعض أولئك النفر إلى بعض ، وقالوا :

تصادقوا وليكْتُم بعضكم على بعض ، فقال قائلهم : تعلمون والله ما قومكم على شىء لقد أخطأوا دين إبراهيم عليه السلام وخالفوه ، ما وثن يُعبد لا يضر ولا ينفع ، فابتغوا لأنفسكم ، فخرجوا يطلبون ويسيرون فى الأرض يلتمسون أهل الكتاب من اليهود والنصارى والملل كلها ، والحنيفية دين إبراهيم عليه السلام ٠

*** ورقة بن نوفل يتنصر :**

فأما ورقة بن نوفل فتنصر ، فاستحكم فى النــــصرانية ، واتبع الكتب من أهلها ، حتى علم علمًا كثيرًا من أهل الكتاب ٠

*** زيد بن عمرو بن نفيل يدين بالحنيفية :**

فلم يكن فيهم أعدل أمرًا ، ولا أعدل شأنا من زيد بن عمرو بن نُفيل ، اعتزل الأوثان وفارق الأديان من اليهود والنصارى والملل كلها إلاَّ دين إبراهــيم يوحد الله عز وجل ويخلع من دونه ، ولا يأكل ذبائح قومه ، باداُهم بالفراق لما هم فيه ٠

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء بنت أبى بكر قالت : لقد رأيت زيد بن عمرو بن نُفَيل مسندًا ظهره إلى الكعبة يقول : يا معشر قريش والذى نفس زيد بيده ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيرى ، ثم يقول : اللهم لو أنى أعلم أحب الوجوه إليك عبدتك به ، ولكنى لا أعلمه ثم يسجد على راحته ٠

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى بعض آل زيد بن عمرو بن نُفيل أن زيد كان إذا دخل الكعبة قال : لبيك حقًّا حقًّا تعبدًا ورِقًّا ، عذت بما عاذ به إبراهيم ، وهو قائم ، إذ قال : أنفى لك عان راغم مهما تجشمنى فإنى جاشم ، البر أبغى لا الخال - يقول : لا الفخر - ليس مهجر كمن قال ٠

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى هشام بن عروة قال : روانى عروة بن الزبير أن زيد بن عمرو بن نفيل قال :

أَربًا وَاحِـــــدًا أَم أَلْف رَب ... أَدِينُ إذا تَقَسَّمَــــــتِ الأُمُورُ
عَزَلْتُ اللاَّتَ والعُزَّى جَمِيعـــــًا ... كَذلك يَفْعَل الجَلد الصَّـــــبُورُ
فَلا عُزَّى أَدِينُ ولاَ ابنتيـــــها ... ولا صَنَمَىْ بَنِى عَمـــــرو أُدِيرُ

وَلَا غُنْمــــًا أدينُ وكان ربًّا لنا فى الـــدهر إذ حُلْمى يَسيرُ
عَجِبتُ وفـــى الليالى مُعْجبات وَفى الأيـــامِ يَعْرِفها البَصِيرُ
بأن اللهَ قـــد أفنى رِجَالاً كَثيرًا كان شَأنهـــم الفُجورُ
وأبقَى آخَرين ببـــرٍّ قَومٍ فيربك منهم الطفـــل الصَّغِيرُ
وبينا المرءُ يَعثر ثابَ يـــومًا كَما يَترَوح الغُصْـــنُ النَّضِيرُ

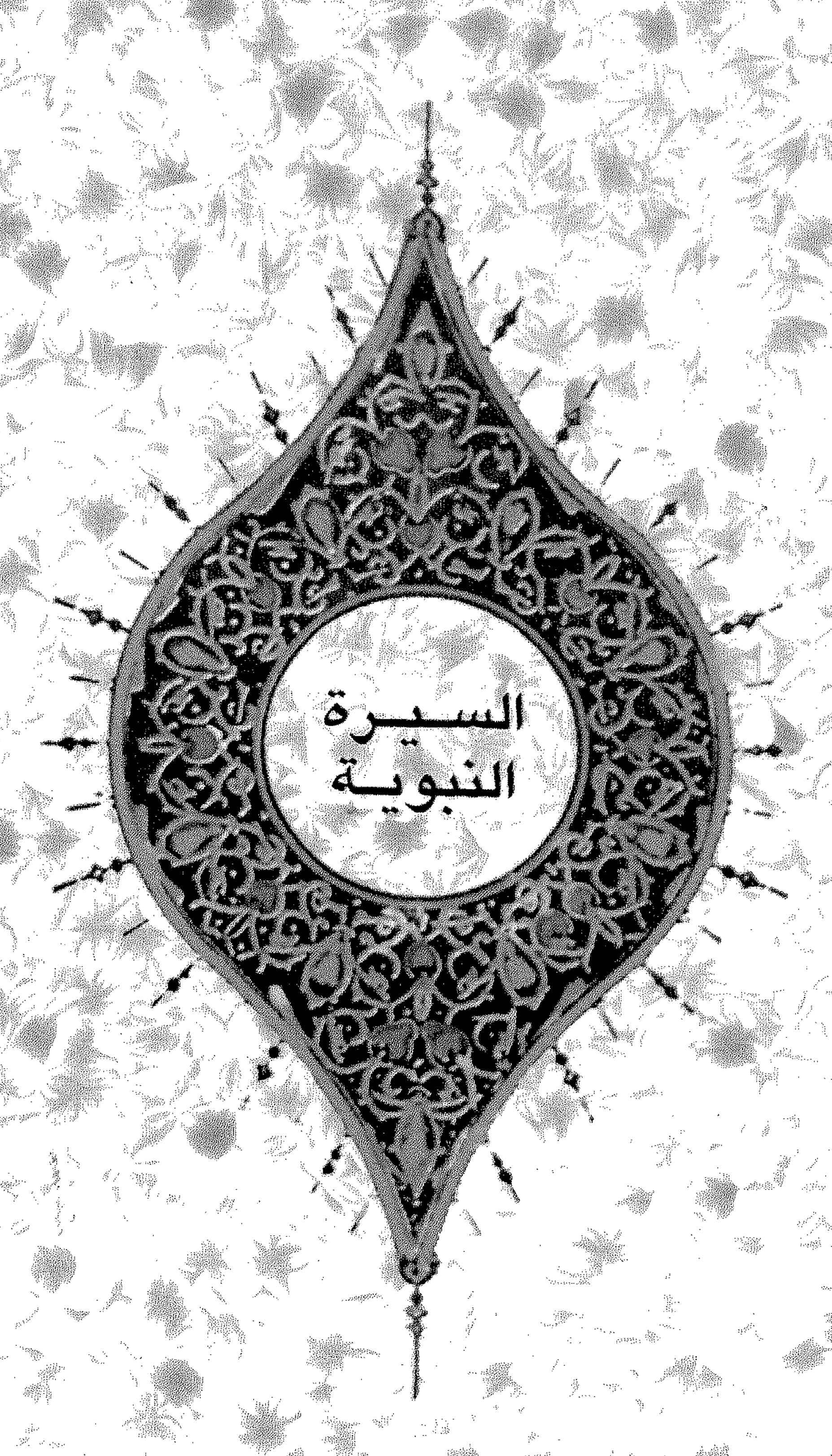
نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وقال زيد بن عمرو بن نُفيل أيضًا :

أَسْلَمتُ وَجهِى لِمن أَسْلَمتْ لَه الأرضُ تَحمل صَخْراً ثقالا
وأَسْلَمتُ وَجهِى لِمن أَسْلَمتْ لَه المُزْنُ تَحمل عَذْبًا زُلاَلاَ
إِذا هَى سِيقَتْ إلى بَلْدَة أَطاعَتْ فَصَبَّتْ عَليها سِجَالاَ
وأَسْلَمتُ وَجهِى لِمن أَسْلَمتْ لَهُ الريحُ تُصْرف حَالا فحَالا

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وكان الخطاب بن نُفيل قد آذى زيد ابن عمرو بن نُفيل حتى خرج عنه إلى أعلى مكة ، فنزل حراء ، مقابل مكة ووكل به الخطاب شبابًا من شـــباب قريش وسفهاء من سفهائهم ، فقال : لا تتركوه يدخل مكة ، فكان لا يدخلها إلا سرًّا منهم ، فإذا علموا بذلك آذنوا به الخطاب ، فأخرجوه وآذوه كراهية أن يفسد عليهم دينهم ، وأن يتابعه أحد منهم على فراقهم ، وكان الخطاب عم زيد ، وأخاه لأمه ، وكان عـــمرو بن نُفيل قد خلف على أم الخطاب بعده ، فولدت له زيد بن عمرو ، وكان الخطاب عمه وأخوه لأمه مع سنه ، فكان يعاتبه على فراق دين قومه حتى آذاه ، فقال زيد بن عمرو وهو يعظم حرمته على من استحلَ من قومه ما استحل :

اللَّهُمَّ إِنى مُحرم لاَ أُحِله وَإِن بَيْتى أَوْسَطُ المحلَّه
عِند الصفا ليس بذى مظلة

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : فحدثت أن رسول الله ﷺ قال وهو يحدث عن زيد بن عمـــرو بن نفيل : إن كان لأول من عاب على الأوثان ونهى عنها وقد أقبلت من الطائف ومعى زيد بن حارِثة حتى مررت بزيد بن عمرو وهو بأعلى مكة وكانت قريش قد شهرته بفراق دينها حتى خرج من بين أظهرهم ، وكان بأعلى مكة ، فجلست إليه ومعى سفرة لى فيها لحم يحملها زيد بن حارثة من ذبائحنا على


السيرة
النبوية